
المنهج المفيد
الإسلام ديننا
دُروس قرآنيَّة
الثالث الإعدادي
لجنة المناهج
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ مـ





المحتويات

مقدمة لجنة المناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

نظـرًا للحاجة العاجلة إلى مناهج تُلبّـي متطلبات مشاريع التعليم الدينـي الإسلامي لجميع المراحل -ابتدائـي، إعـدادي، ثانوي- وفق خطـة التعليم طوال السنـة وبمنهجية المراحل، وهـي حاجةٌ مُلِحَّةٌ لا تحتمـل التأخـير، ونظـرًا إلى أنَّ طبيعة العمل في إنجـاز كُتُبٍ دراسيَّة تُلبّي هـذه الحاجة بالصورة المطلوبـة، والتدقيق اللازم يأخذُ وقتًا طويلاً، فقد ارتـأت لجنة المناهج أن تقوم بإعداد هذه السلسلة بصـورة مؤقتـة، وبعجالة مـن أمرنا قمنا بجمع مـا توفَّر لنا من كُتُـبٍ تعليميَّةٍ وكرّاسـاتٍ من جهاتٍ موثوقـة، وقمنا بترتيبها وتقسيمها واختيار المناسـب منها، والتصرف في النصوص كثيرًا، مع إجراء مراجعة عامة للمحتوى.

فهذه المناهج المؤقتة مستفادة من عدَّةِ مصادر، وهي:

جميع المناهج المطبوعة للمجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.

بعض مقرّرات مركز الهدى للدراسات الإسلامية.

بعض كرّاساتِ مشروع تعليم الصلاة والقرآن بقرية الدراز.

بعض مناهج جماعة الهُدى للتعليم في القطيف.

بعض إصدارات مركزِ المعارف للدراسات والبحوث الإسلامية.

تنويه مهم

يرجى من الأساتذة الكرام وإدارات التعليم الديني أن يتفضلوا بموافاتنا بملاحظاتهم واقتراحاتهم؛ لتعديل وتطوير هذه المناهج، وشكرًا.

١

الدرس الأول

فضل القرآن وآداب التلاوة

الدرس الأوّل

فضل القرآن وآداب التلاوة

أهداف الدرس:

- أن يتعرّف الطالب إلى فضل القرآن.
- أن يتبيّن بعضاً من صفاته.
- أن يستذكر بعضاً من آداب التلاوة.

فضلُ القرآن الكريم

يقول تعالى: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ❖ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾**[1]

القرآن الكريم كلام الخالق عزّ وجلّ الّذي: **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾**[2] فهو كتاب هدايةٍ ورحمةٍ وبشرى للمؤمنين، الّذين يقرؤون آياته فيعقلونها ويتدبّرون في معانيها ويعملون بها، وهو كتاب شفاء لمن شاء، وكتاب معجزةٍ خالدة يعجز الإنس والجنّ عن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. إنّه النور الّذي ينير طريقنا وعقولنا ويرشدنا إلى الحقّ.

صفات القرآن

للقرآن الكريم صفاتٌ عديدة ذكرت في منطوق الآيات الحكيمة والروايات الشريفة، ومنها:

١. **<u>كتاب هداية</u>**، قال تعالى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾**[3].

وقال: **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾**[4].

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٢ ـ ٣.

(٢) سورة فصّلت، الآية: ٤٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.

٢. **شفاء الصدور**، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾[٥].

٣. **الكتاب المعجز**، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٦].

٤. **أفضل الكلام:** لمّا كان القرآن كلام الله عزَّ وجلَّ، فلا يقاس بكلام المخلوقين، فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[٧].

٥. **رفيق المتّقين:** وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله أيضاً في خطبة المتّقين: «وأمّا الليل فصافّون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن، يرتّلونه ترتيلاً، يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه...»[٨].

٦. **عميق المعاني ومتجدّد:** فهذا هو ما وصفه به أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «إنّ القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه، ولا تُكشف الظلمات إلا به»[٩].

٧. **ربيع القلوب:** والربيع رمز للحياة المتجدّدة، فالقرآن سبب لتجدّد حياة هذا الإنسان؛ فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أيضاً: «إنّ الله سبحانه لم يعظ أحداً بمثل القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين، وفيه ربيع القلوب وينابيع العلم، وما للقلب جلاء غيره»[١٠].

كيف نستفيد من القرآن الكريم؟

إنّ من الأمور المهمّة معرفة كيفيّة الاستفادة من القرآن العظيم، وذلك يكون بمعرفة أنّ هذا الكتاب كتاب تعليم وهداية إلى الله وإلى سبيل السعادة الحقيقيّة.

فليس القرآن الكريم لتعليم الفنون الأدبيّة والنحو والصرف أو أن تأخذ منه الفصاحة والبلاغة

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٧) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨٩، ص٣٢.

(٨) م.ن، ج٢، ص١٦١.

(٩) م.ن، ج١، ص٥٥.

(١٠) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢، ص٣١٢.

والنـكات البيانيّـة والبديعيّة وليس هو لتعليـم القصص والحكايات بالنظـر التاريخيّ والاطّلاع على الأمم السابقة.

ثمّ إنّه ليس كتاباً نقرأه للثواب والأجر فقط ولهذا لا نعتني بغير تجويده، ونريد أن نقرأه صحيحاً حتّى يُعطى لنا الثواب، فللأسف نحن مقتنعون بهذا الحدّ، ولهذا لا يُفيدنا القرآن.

فالمطلوب إذاً التعلّم من القرآن كيفيّة السير والسلوك إلى الله وكيفيّة التخلّق بالأخلاق العالية لنصل إلى الكمال والسعادة.

فضل تلاوة القرآن الكريم

فضائل تلاوة القرآن الكريم كثيرة ولا تعدّ ولا تحصى أبداً، وقد أشارت إليها الآيات والروايات وهذه الفضائل يصل إليها الإنسان متى سلك طريق تلاوة القرآن تلاوة صحيحة، ومن هذه الفضائل:

١. **الإيمان والزيادة فيه:** ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿...وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢].

٢. **تجارة رابحة:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[٣].

٣. **الخشية من الله:** ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٤].

٤. **خير ونور:** فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن... فإنّ البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره، وأمتع أهله، وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا»[٥].

٥. **معين في مواجهة الشيطان:** فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «ليس شيء أشدّ على الشيطان من القراءة في المصحف نظراً»[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٩.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٨.

(٥) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٦١٠.

(٦) زبدة البيان، المحقق الأردبيلي، ص٩٨.

٦. **جلاء للقلوب:** فعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إنّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: قراءة القرآن وذكر الموت»[٧].

٧. **آثار أخرويّة لتلاوة القرآن،** ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال: «من قرأ القرآن وهو شابّ مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله مع السفرة البررة وكان القرآن حجيراً (مانعاً) عنه يوم القيامة. يقول (القرآن): يا ربّ إنّ كلّ عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي فبلّغ به أكرم عطاياك، فيكسوه الله حلّتين من حُلل الجنّة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثمّ يقال له (للقرآن) هل أرضيناك فيه؟، فيقول (القرآن) نعم»[٨].

آداب التلاوة

بعد أن تعرّفنا إلى فضل القرآن وصفاته وفضل تلاوته، نأتي على ذكر آداب هذه التلاوة الّتي ينبغي مراعاتها، مبالغةً في احترام هذا الكتاب العظيم، ومن هذه الآداب:

١. **الوضوء:** يستحبّ الوضوء عند قراءة القرآن الكريم، ولا يجوز مسّ حروفه وآياته من غير وضوء وطهارة، قال تعالى: ﴿**لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**﴾[٩].

٢. **الاستياك:** لتنظيف الأفواه قبل التلاوة، فقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «نظّفوا طريق القرآن، قيل: يا رسول الله وما طريق القرآن؟ قال: أفواهكم، قيل: بماذا ؟ قال: بالسواك»[١٠].

٣. **التعوّذ:** أن يفتتح التلاوة بالتعوّذ، وصيغتها: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَنِ الرَّجِيمِ»، لقوله تعالى في سورة النحل: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[١١].

٤. **التدبّر والتفكّر:** لقد شجب القرآن الكريم أولئك الذين لا يتدبّرون القرآن: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[١٢].

---

(٧) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٢، ص١٠٤.

(٨) م.ن، ج٢، ص٦٠٤.

(٩) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.

(١٠) المحاسن، البرقي، ج٢، ص٥٥٨.

(١١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(١٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

٥. **الإصغاء والإنصات:** عند سماع تلاوة القرآن الكريم لأنّه موجب للرحمة الإلهية، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[١].

وعن رسول ﷺ أنّه قال: «يُدفع عن قارئ القرآن بلاء الدنيا ويُدفع عن مستمع القرآن بلاء الآخرة»[٢].

٦. **القراءة بصوت حسن،** والابتعاد عن الأصوات المنكرة والألحان الهزليّة والآلات الموسيقيّة، فقد جاء عن النبيّ ﷺ: «إنّ لكل شيء حِلية وحلية القرآن الصوت الحسن»[٣].

وعنه ﷺ أيضاً قوله: «زيّنوا القرآن بأصواتكم فإنّ الصّوت الحسن يزيد القرآن حسناً»[٤].

وهنـاك آداب عديـدة أخرى على نحو: التوجّه نحـو القبلة أثناء التلاوة، رفع القـرآن الكريم لمستوى الصدر، ترك الطعام أو التدخين... الدعاء عقب ختم القرآن، فإنّ فيه دعوة مستجابة. وقد كان أمير المؤمنـين عليه السلام إذا ختـم القرآن الكريم قال: «اللّهمّ اشرح بالقـرآن صدري واستعمل بالقرآن بدني، ونوّر بالقرآن بصري، وأطلق بالقرآن لساني، وأعنّي عليه ما أبقيتني فإنّه لا حول ولا قوّة إلا بك»[٥].

خلاصة الدّرس

- القرآن الكريم كلام الخالق سبحانه الّذي ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ وهو كتاب هداية ورحمة وبشرى للمؤمنين.
- من صفات القرآن وفضله أنّه كتاب هداية وأفضل الكلام ورفيق المتّقين، وربيع القلوب.
- نستفيد من القرآن بمعرفة غايته الحقيقيّة وتعلّمها.
- من آثار التلاوة: الإيمان والزيادة فيه، والخشية من الله...
- من آداب التلاوة: الوضوء، االاستياك، التعوّذ، التدبّر، الإصغاء...

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص٢٥٣١

(٣) مستند الشيعة، المحقق النراقي، ج١٤، ص١٤٩.

(٤) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج١٥، ص٢٣.

(٥) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج٤، ص٣٧٨.

أسئلة الدرس

١. *اذكر بعضاً من صفات القرآن.*

....

....

٢. *كيف تظهر عظمة القرآن؟*

....

....

٣. *تحدّث عن آثار تلاوة القرآن.*

....

....

٤. *عدّد آداب تلاوة القرآن.*

....

....

للمطالعة

التطبيق

إنّ مـن أراد أن يأخـذ مـن القرآن الشريـف الحظّ الوافر لا بدّ لـه من أن يطبّق كلّ آيـة شريفة على حالات نفسه حتّى يستفيد استفادة كاملة، مثلاً يقول تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾**[1].

فـلا بدّ للسالك أن يلاحظ هذه الأوصاف الثلاثة؛ هل هي منطبقة عليه، وهل قلبه يخشع ويخاف إذا ذكـر الله؟ وإذا تليـت عليه الآيات الشريفة هل يـزداد إيماناً في قلبه؟ وهل اعتمـاده وتوكّله على الله تعالى؟ أو أنّه محروم من ذلك؟

فـإذا كان محروماً فليسعَ لتحصيـل هذه الصفات، وهكذا كلّ آية يمرّ عليها يطبّقها خارجاً، فالقرآن كتاب تطبيق لا كتاب ترتيل فحسب.

فكما أنّ خلق الرسول كان القرآن، فينبغي عليك أن يكون خلقك القرآن.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.



٢

الدرس الثاني

مقاصد القرآن ١

الدرس الثاني

مقاصد القرآن ١

أهداف الدرس:

- أن يتعرّف الطالب إلى بعضٍ من مقاصد القرآن: معرفة الله، ومعرفة الأنبياء صلى الله عليهم واله وسلم.

لقد تضمّن القرآن الكريم المقاصد الإيمانيّة الكاملة والحقائق الضروريّة لكمال الإنسان ورقيّه ووصوله إلى مقام القرب الإلهيّ.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[1].

وفي ما يلي نذكر بعضاً من مقاصد القرآن العُليا ومضامينه الراقية الّتي تيسّر للإنسان هدايته وتقويم حياته، ومنها:

أوّلا: معرفة الله

إنّ قضيّة الألوهيّة هي موضوع العقيدة الإسلاميّة الرئيس وبالتالي فهي تشمل الحيّز الأكبر من كتاب الله تعالى.

وما نزل القرآن ليقول للناس إنّ هناك إلهاً، فإنّ الفطرة وأدنى التأمّل بالوجود باعثان على الإقرار بوجود المبدع المنظِّم.

يقول تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾[2].

إنّما المشكلة بأنّهم لا يعرفونه حقّ المعرفة ومن ثمّ لا يعبدونه حقّ العبادة، ومن ذا الّذي يدرك هذا المقام؛ يقول تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾[3].

وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «لو عرفتم الله حقّ معرفته لزايلت بدعائكم الجبال الراسيات، ولا يبلغ

(١) سورة الإسراء، الآية:٩.

(٢) سورة لقمان، الآية:٢٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية:٩١.

أحـد كُنـه معرفته، فقيل: ولا أنـت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، الله أعلى وأجـلّ أن يطلع أحد على كنه معرفته».

ولهذا قال في دعاءه : «يا من لا يعلم ما هو إلا هو».

وقال : «سبحانك ما عرفناك حقّ معرفتك»[٤].

ولعـلّ المعرفة المقصودة هي معرفة الـذات الإلهيّة حقّ المعرفة فمن ذا يدركهـا؟ أمّا معرفته سبحانه بصفـات الجمال والكمال فيمكـن إدراكها من خلال التأمّل في نِعَـم الله سبحانه ومخلوقاته. ونظام الكون الّذي أتقن صنعه الجبار.

يقول تعالى: **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾**[٥].

وقد دعا القرآن إلى توحيد الله تعالى بما يليق بذاته وصفاته وأفعاله.

يقول تعالى في مقام بيان الصفات: **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ❖ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ❖ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾**[٦].

ويقول سبحانه: **﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**[٧].

الاحتجاجات الإلهيّة

هـذه الدعوة لتوحيـد الله تعالى ومعرفته بصفاته وأفعاله لم تكن دون دليـل، فمن يقرأ في كتاب الله يلاحظ أنّ القرآن يستعين في إبلاغ رسالته بلغتين هما لغة العقل ولغة القلب، فقد اعتبر القرآن العقل حجّة على العباد فدعا إلى إعماله والاستفادة منه، كما ذمّ من عطّله ولم يهتد بهداه.

قال تعالى: **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾**[٨].

---

(٤) عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ٤، ص ١٣٢.

(٥) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٦) سورة الحشر، الآيات:٢٢-٢٤.

(٧) سورة الحشر، الآية:٢٤.

(٨) سورة الأنفال، الآية:٢٢.

وقد أقام القرآن الدلائل والبراهين على مدّعياته، وتحدّى المنكرين على الإتيان ببراهين تنقضها: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١).

وفي الوقت الّذي يدعو فيه القرآن إلى إعمال العقل يبيّن موانع إصابة العقل للحقّ والصواب كاتّباع الظن، وتقليد الآباء واتّباع الهوى.

قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾(٢).

ويقول عزّ من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(٣).

فالقرآن لم يدع الإنسان إلى الإيمان بغير دليل بل ساق أدلّة برهانيّةً عقليّة وأخرى وجدانيّة، وخاطب الفطرة الإنسانيّة.

يقول سبحانه: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ❖ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٤).

ثانياً: معرفة الأنبياء عليهم السلام

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى......لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٥).

استعمل القرآن الكريم الأسلوب القصصيّ في تبليغ المفاهيم والعبر والمقاصد، لما لهذا الأسلوب من أثر كبير في القلوب، فذكر قصص بعض الأنبياء لنعتبر منهم ومن قصصهم، وليكونوا صلة وصل

(١) سورة البقرة، الآية:١١١.

(٢) سورة النجم، الآية:٢٣.

(٣) سورة البقرة، الآية:١٧٠.

(٤) سورة النمل، الآيتان:٦١-٦٢.

(٥) سورة يوسف، الآيات: ١٠٩- ١١١.

بين العباد وبين الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(٦).

وتشكّل القصص القرآنيّة جانباً هامّاً من النصّ القرآنيّ حتّى ورد في بعض الأحاديث أنّها ثلث القرآن، وهناك عدد كبير منها مختصّ بقصص الأنبياء صلى الله عليهم واله وسلموتتركّز بشكل أساس في السور الّتي حمل بعضها اسم واحد من الأنبياء كسورة يونس وإبراهيم وهود وغيرها، وهذا الاستخدام الواسع لأسلوب القصّة يفيد بوضوح أنّ القصّة القرآنيّة لها مدخليّة مهمّة في تحقيق الأغراض والأهداف القرآنيّة.

كما أنّ القصّة في القرآن لا تخلو من نكاتٍ بلاغيّة، وقيمةٍ تاريخيّة، ولمسات أدبيّةٍ فنيّة، ودروس مستفادة من معاينة القدوة في سلوكه ومواقفه ليزداد الإنسان معرفة بالأنبياء الذين يشكلون القدوة الحسنة.

يقول الإمام الخميني قدس سره حول هذا الأمر:

«ومن مقاصد هذه الصحيفة النورانيّة قصص الأنبياء والأولياء والحكماء، وكيفيّة تربية الحقّ إيّاهم، وتربيتهم الخَلْق. فإنّ في تلك القصص فوائد لا تُحصى.. ففي قصّة خلق آدم عليه السلام والأمر بسجود الملائكة، وتعليمه الأسماء وقضايا إبليس وآدم الّتي تكرّر ذكرها في كتاب الله من التعليم والتربية والمعارف والمعالم – لمن كان ﴿**لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾(٧)– ما يحيّر الإنسان.. فليس هذا الكتاب كتاب قصّة وتاريخ بل هو كتاب السير والسلوك إلى الله، وكتاب التوحيد والمعارف والمواعظ والحِكَم»(٨).

كما أنّ من الظواهر الّتي تلفت النظر في القرآن ظاهرة التكرار في القصص وغيرها حيث نجد الحديث عن نبيّ واحد في أكثر من سورة، ويبدو ذلك جليّاً في الحديث عن نبيّ الله موسى عليه السلام،

---

(٦) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٧) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٨) القرآن الثقل الأكبر، ص٤٠.

وحـين ننظر إلى القرآن على أنّـه كتاب هداية وتربية لهذه الأمّة والبشريّة، تتوضّح لدينا حكمة ذلك؛ لأنّ التربية تحتاج إلى التذكير الدائم، وليست التربية كلاماً يقال مرّة وكفى قال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1].

خلاصة الدّرس

لقـد تضمّـن القرآن الكـريم المقاصد الإيمانيّـة الكاملة والحقائـق الضروريّة لكمـال الإنسان ورقيّه ووصوله إلى مقام القرب الإلهيّ.

ومنها:

- أوّلا، معرفة الله: فالناس لا يعرفونه حقّ المعرفة ومن ثمّ لا يعبدونه حقّ العبادة.
- ثانياً، معرفة الأنبياء صلى الله عليهم واله وسلم. يقول الإمام الخميني قدس سره في هذا الأمر: «ومـن مقاصد هذه الصحيفة النورانيّة قصص الأنبياء والأولياء والحكماء، وكيفيّة تربية الحقّ إيّاهم، وتربيتهم الخلق. فإنّ في تلك القصص فوائد لا تحصى..»

أسئلة الدرس

١. ***ما هي المعرفة المقصودة تجاه الله سبحانه؟***

....

....

٢. ***كيف استفاد القرآن من الاحتجاجات العقليّة، وماذا أثبت بها؟***

....

....

٣. ***كيف عرّفنا القرآن على الأنبياء عليهم السلام؟***

....

....

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

للمطالعة

دور القرآن في الحياة

لا يقتصر دور القرآن الكريم على هداية الإنسان إلى طريق النجاة في الآخرة، بل دوره يرتبط بكافّة جوانب حياة الإنسان، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ هذا القرآن هو الناصح الّذي لا يغشّ، والهادي الّذي لا يضلّ، والمحدّث الّذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى ونقصان من عمى، واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على بلوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والعمى والضلال.

اسألوا الله به وتوجّهوا إليه بحبّه، ولا تسألوا به خلقه؛ إنّه ما توجّه العباد إلى الله بمثله. واعلموا أنّه شافع مشفّع، وقائل مصدّق وأنّه من شفع له القرآن يوم القيامة شُفّع فيه، ومن مَحِلَ به القرآن يوم القيامة صدق عليه، فإنّه ينادي مناد يوم القيامة ألا إنّ كلّ حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلّوه على ربّكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم»[٢].

(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص٩٢.



٣

الدرس الثالث

مقاصد القرآن ٢

الدرس الثالث

مقاصد القرآن ٢

أهداف الدرس:

- أن يتعرّف الطالب إلى بعضٍ من مقاصد القرآن: معرفة المعاد، الأخلاقيّات الإيمانيّة.

ثالثاً: معرفة المعاد وبيان أحواله

هناك جانب آخر أخذ حيزاً هامّاً من مطالب ومضمون النصّ القرآنيّ، وذلك في بيان مسألة الإيمان باليوم الآخر وإقامة الأدلّة والبراهين على إثباته.

حتّى أنّ القرآن الكريم يُلحق مسألة الإيمان باليوم الآخر في كثير من المواضع بالإيمان بالله مباشرة إثباتاً ونفياً، فيصف المؤمنين بأنّهم هم الّذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويصف الكافرين بأنّهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

والقرآن في حديثه المستفيض عن المعاد أراد إثباته أوّلاً للجاحدين به والمنكرين للبعث والحساب، فساق الأدلّة النظريّة والبراهين العقليّة وأتبعها بأمور وجدانيّة يراها الإنسان بأمّ عينه.
﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[1].

ثمّ ببيان حوادث جُربت في التاريخ وأورد قصّتها القرآن لمزيد يقين كقصّة أصحاب الكهف وقصّة العُزير الّذي أماته الله مائة عام ثمّ بعثه.

ولئن كان للحديث عن البعث والحساب بعض أسبابه الّتي تعود إلى إنكار العرب البات للبعث، ولكنّ بعضه الآخر كان لضرورة ترسيخ هذه العقيدة في نفوس المؤمنين لما لها من تأثير بالغ في سلوك

---

(١) سورة ق، الآيات:٩-١١.

الإنسـان فإنّه لا شـيء يُمكن أن يدفع الإنسان للتنازل عن المتاع الزائد عن الحدّ المدفوع إليه بغريزته والالتـزام بالحـدود الّتـي رسمهـا الله إلّا الإيمان الجازم بـأنّ ما يتركه في الدنيـا طاعة لله يلقاه في الآخرة مضاعفاً، ولا يزول أبداً.

ويغدو حديث القرآن عن الآخرة بمثابة شريط حافل بالمشاهد الحيّة حتّى لكأنّ الإنسان يُخيّل إليه أنّه يراها عياناً وليست حديثاً عن المستقبل. إنّه شريط يجمع بين مشاهد العذاب ومشاهد النعيم ليختار الإنسان أيّهما شاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٢]
وقـال سبحانـه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَـمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُـندُسٍ خُضْـرٌ وَإِسْـتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَـاوِرَ مِن فِضَّـةٍ وَسَـقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾[٣]

ويقـول نعـوذ بلطفه مـن عذابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُوا قُـوا أَنفُسَـكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَـارًا وَقُودُهَـا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤].

رابعاً: الأخلاقيّات الإيمانيّة في القرآن

موضوع آخر من موضوعات القرآن الكريم ومقصد من مقاصده هو الأخلاقيّات الإيمانيّة وما ينبغي أن يكـون عليـه المؤمنون بوحي مـن إيمانهم، في مقابل ما هـم عليه الكافـرون والفاسقون بوحي من ضلالتهم.

يقول الإمام الخميني قدس سره: «ومن مقاصده ومطالبه الدعوة إلى تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة وتحصيل السعادة. وبالجملة كيفيّة السير والسلوك إلى الله تعالى، وهذا المطلب

---

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤- ٥٥.

(٣) سورة الإنسان، الآيات: ٢٠- ٢٣.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.

الشريف منقسم إلى شعبتين مهمّتين:

إحداهما: التقوى بجميع مراتبها المندرجة فيها التقوى عن غير الحقّ، والإعراض المطلق عمّا سوى الله.

وثانيهما: «الإيمان بتمام المراتب والشؤون المندرجة في الإقبال على الحقّ، والرجوع والإنابة إلى ذاته المقدسة، وهذا من المقاصد المهمّة لهذا الكتاب الشريف وأكثر مطالبه ترجع إلى هذا المطلب إمّا بلا واسطة أو مع الواسطة»[١].

والأخلاق ليست شيئاً ثانويّاً في هذا الدّين، كما إنّها شاملة للسلوك البشري كلّه ولا يوجد عمل واحد يخرج عن دائرة الأخلاق فالصلاة لها أخلاق هي الخشوع، والكلام له أخلاق وهو الإعراض عن اللغو، والتعامل مع الآخرين له أخلاق هي الوفاء والصدق ورعاية العهد.

وقد قال تعالى بحقّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**[٢]. ولكنّه أيضاً (أي الخُلق) من خصوصيّات الإيمان ومقتضياته.

وقد عُني القرآن بإبراز الجانب السلوكيّ الأخلاقيّ للعقيدة المنحرفة قال تعالى: **﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ❖ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ❖ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ❖ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ❖ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ❖ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ❖ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾**[٣].

يقابل ذلك إبراز السلوك الأخلاقيّ الصحيح المصاحب للعقيدة الصحيحة: **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾**[٤].

فالقرآن هو مفتاح سعادة الإنسان وباب فلاحه: **﴿طه ❖ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾**[٥]. وهو شفاء ورحمة لكلّ من تمسّك به، وفي ما يلي نماذج من آيات القرآن تكشف عن عمق معانيه ودقّة

---

(١) راجع: القرآن الثقل الأكبر، ص٢٩-٤٠.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة القلم، الآيات: ٩-١٦.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٥) سورة طه، الآيتان: ١ - ٢.

أفكاره في مجال نظام السير والسلوك إلى الله تعالى:

أ - العلاقة مع الله:

فالقـرآن الكـريم يوثّق الإيمان في القلب ويربط ذلك القلب بـالله في جميع أحواله لأنّه يربط الأحوال كلّها والوجود كلّه بالله سبحانه: فالمولد والممات بيد الله، والرزق بيد الله بجميع ألوانه وأشكاله، وبيده الضرّ والنفع، ثمّ البعث والحساب والثواب والعقاب؛ أمورٌ كلّها بيد الله.

فالله تعالى في كتابه يعرّفنا بنفسه لنعرفه كما ينبغي لجلال وجهه. فهو يُعرّفنا نفسه بأنّه: ﴿**السَّمِيعُ البَصِـيرُ**﴾. وأنّه ﴿**يَعْلَمُ السِّـرَّ وَأَخْفَى**﴾[6]، وأنّه ﴿**ما يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...**﴾[7]. ليولّد في قلوبنا ذلك الإحساس برقابة الله، فنحرص على نقاوة أعمالنا ومشاعرنا.

ويعرّفنا بأنّ ﴿**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[8]. وأنّ بيده ﴿**مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾. لنتطلّع إليـه وحده في السرّاء والضـراء، ولنواجه المصاعـب والشدائد بالصبر والتعلـق به وبفرَجه المنزَل من عنده.

ويعرّفنا بأنّه ﴿**الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[9]. ﴿**وأنّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ**﴾[10].

يعلّمنـا بذلـك أن لا يشغلنا القلق على الرزق وإن البشر ليسـوا هم من يتصرفون في أرزاقنا، بل ذلك كلّـه بيـده وحده وكذلك يعرّفنا بأنّه هـو الّذي يحيي ويميت، وليس هذا شـأن فحسب بل هو بعدُ ملك ومالك يوم الدين.

هذا ما تقرّره هذه الآيات الكريمة وغيرها من كتاب الله ليعيش القلب آفاق معرفة الله تعالى ومنهجاً وسلوكاً، وتكون حياته كلّها مع الله.

---

(٦) سورة طه، الآية: ٧.

(٧) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٦٣.

(٩) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(١٠) سورة الرعد، الآية: ٢٦.

ب- العلاقة مع الآخر:

وكمــا عُني القرآن بإبراز الجانــب السلوكي والأخلاقي للعقيدة المنحرفة ونــدّد به وبأصحابه، كذلك أولى عنايةً واضحةً بإبراز السلوك الأخلاقيّ الصحيح وأفق التعاطي الصحيح مع الآخرين.

﴿وَجزاء سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ❖ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ❖ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ❖ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[١].

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٢]

فمنطق القرآن هو **﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾**[٣]

جـ- الاستقامة:

ويمكــن بحقّ أن نلخّص مبادئء الإسلام كلّها بكلمة الاستقامــة، فإنّها الكلمة الشاملة للاستقامة في العقيدة بما فيها التوحيد عن الشبيه، والاستقامة في الأعمال والأخلاق وجميع التعاليم.

ومعنــى الاستقامــة هو أن نقف عنــد حدود الله ولا ننحرف عــن الحقّ إلى الباطل وعــن الهداية إلى الضــلال. أن نســير بعقيدتنا وأقوالنا وأفعالنا على الصراط المستقيــم، فعن الإمام علي عليه السلام قال: «قلــت: يا رســول الله أوصني، قال: قل ربّي الله، ثمّ استقم، قال: قلــت: ربّي الله وما توفيقي إلّا بالله عليــه توكّلــت وإليه أنيب، فقــال صلى الله عليه وآله وسلم: ليهنئك العلم يا أبــا الحسن، لقد شربت العلــم شرباً و نهلته نهلاً»[٤] .

---

(١) سورة الشورى، الآيات: ٤٠ـ ٤٣.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

(٣) الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٤) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج٤٠، ص١٧٨.

يقول تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥].

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[٦].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٧].

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٩].

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[١٠].

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[١١].

خلاصة الدرس

- من مقاصد القرآن معرفة المعاد وبيان أحواله وقد أخذ حيّزاً هامّاً من مطالب ومضمون النصّ القرآنيّ، من خلال بيان مسألة الإيمان باليوم الآخر وإقامة الأدلّة والبراهين على إثباته.
- ومنها الأخلاقيّات الإيمانيّة وما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون بوحي من إيمانهم، في مقابل ما هم عليه الكافرون والفاسقون بوحي من ضلالهم. يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «ومن مقاصده ومطالبه الدعوة إلى تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة وتحصيل السعادة...»
- يرسم القرآن للإنسان خريطة للعلاقة مع الله ومع نفسه ومع الآخرين...
- ويؤكّد على أهميّة الاستقامة بوقوفنا عند حدود الله وعدم الانحراف عن الحقّ إلى الباطل.

---

(٥) سورة الملك، الآية: ٢٢.

(٦) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٩) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(١٠) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(١١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

أسئلة الدرس

١ . كيف تحدّث القرآن الكريم عن المعاد؟

....

....

٢ . بيّن أهميّة الأخلاقيّات الإيمانيّة في القرآن؟

....

....

٣ . ماذا تعني الاستقامة، ولماذا لخّصت مبادئ الإسلام؟

....

....

للمطالعة

أدب تلاوة القرآن

مـن وظائف القـراءة من الأثر (الحديث) قـول الصادق عليه السلام: «من قرأ القـرآن ولم يخضع له ولم يرقّ قلبه ولم ينشئ حزناً ووجلاً في سرّه، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى وخسر خسراناً مبيناً، فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، وبدن فارغ، وموضع خال، فإذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[1]. فـإذا تفـرغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده، وإذا اتخـذ مجلساً خالياً واعتـزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليـين: (خضوع القلب وفراغ البـدن) استأنس روحه بالله عزَّ وجلَّ، ووجد مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصـه لهم بفنون كراماته وبدائع إشاراته، فـإذا شرب كأساً من هذا الشراب فحينئذٍ لا يختار على ذلك الحال حالاً ولا ذلك الوقت وقتاً، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة، لأنّ فيه المناجاة مع الربّ بـلا واسطة فانظر كيف تقـرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك وكيف تجيـب أوامره وتجتنب نواهيه وكيف تتمثّـل حـدوده فإنّه كتاب عزيـز ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِـلُ مِن بَيْنِ يَدَيْـهِ وَلَا مِـنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّـنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[2]، فرتّله ترتيلاً وقف عند وعده ووعيده وتفكّر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده»[3].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٣) التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ج١، ص٧٣.

٤

الدرس الرابع

سورة الفاتحة ١

الدرس الرابع

سورة الفاتحة ١

أهداف الدرس

١. أن يتعرف الطالب إلى خصائص سورة الفاتحة.

٢. أن يتبين بعضاً من مفاهيمها.

﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ❖ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ❖مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ❖ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❖ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ❖ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾

١. خصائصها:

لهــذه السّورة مكانــة متميّزة بين سور القرآن الكريم. وتبدأ هذه السّــورة - بعد البسملة - بحمد الله والثناء عليه، وتستمرّ في إقرار الإيمان بالمبدأ والمعاد «بالله ويوم القيامة»، وبحصر العبادة والاستعانة بالله تعالى، وتنتهي بالتضرّع والطلب للهداية، والتبرّؤ من أهل الضلالة والغواية..

ســورة الحمد أساس القــرآن: فقد رويَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لجابــر بن عبد الله الأنصاري: «ألا أُعَلِّمُكَ أَفْضَلَ سُورَة أَنْزَلَهَا اللهُ في كِتَابِهِ؟» قَالَ جَابِرُ: بَلى بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِيهَا. فَعَلَّمَهُ الْحَمْدَ أُمَّ الْكِتَابِ، وَقَالَ: «هِي شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاء، إلاّ السَّامَ، وَالسَّامُ الْمَوْتُ»[١].

أمّ الكتاب: وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ في التَّوْرَاةِ، وَلاَ في الإنجيل ولا في الزّبُورِ وَلا في الْقُرْآنِ مِثْلَهَا، وَهِيَ أُمُّ الْكِتَابِ»[٢].

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٦، ص٢٣٢.

(٢) مستدرك الوسائل، النوري، ج٤، ص٣٣٢.

٢. أهميّتها:

أهميّـة هذه السّورة تتّضح من محتواها، فهـي في الحقيقة عرض لكلّ محتويات القرآن، فجانب منها يختصّ بالتوحيـد وصفات الله، وجانب آخر بالمعـاد ويوم القيامة، وقسم منهـا يتحدّث عن الهداية والضـلال باعتبارهمـا علامة التمييـز بين المؤمـن والكافر، وفيها أيضـاً إشـارات إلى حاكمية الله المطلقة، وإلى مقام ربوبيّته، ونعمه اللاّمتناهية العامّة والخاصّة «الرحمانية والرحيمية»، وإلى مسألة العبادة والعبوديّة واختصاصهما بذات الله دون سواه.

إنّها تتضمّن في الواقع توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، وتوحيد العبادة.

وبعبـارة أُخـرى: تتضمّن هذه السّـورة مراحل الإيمان الثـلاث: الاعتقاد بالقلب، والإقـرار باللسان، والعمل بالأركان. ومن المعلوم أنّ لفظ «الأُمّ» يعني هنا الأساس والجذر.

٣. محتوى السّورة:

ويُمكن تقسيم هذه السّورة، من منظار آخر، إلى قسمين:

١. قسم يختصّ بحمد الله والثناء عليه.

٢. وقسم يتضمّن حاجات العبد.

وإلى هذا التقسيم يُشير الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ:

"قَـالَ اللّه عَـزَّ وَجَلَّ: قَسَّمْتُ فَاتِحَـةَ الْكِتَابِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، فنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سأَلَ.

إِذَا قَالَ الْعَبْدُ ﴿**بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾ قَالَ اللّه جَلَّ جَلاَلُهُ: بَدَأَ عَبدِي باسْمِي وَحَقٌّ عَلَيَّ أَنْ أُتَمِّمَ لَهُ أُمُورَهُ وَأُبارِكَ لَهُ فِي أحوَالِه.

فَـإذا قَـالَ: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ قَالَ اللّه جَلَّ جلالُهُ: حَمَـدَني عَبدي وَعَلِمَ أَنَّ النِعَمَ الَّتِي لَهُ مِنْ عِنْـدِي، وَأَنَّ الْبَلاَيَـا الَّتِي دَفَعْتُ عَنْهُ فبِتَطَـوُّلِي، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي أُضِيفُ لَهُ إلى نِعَـمِ الدُّنْيَا نِعَمَ الآخِرَةِ، وَأَدْفَعُ عَنْهُ بَلاَيَا الآخِرَةِ كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلاَيَا الدُّنْيَا.

وَإِذَا قَـالَ: ﴿**الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ**﴾ قَالَ اللّه جَلَّ جَلاَلُهُ: شَهِـدَ لِي عَبْدِي أَنِّي الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ، أُشْهِدُكُمْ

لأُوَفِّرَنَّ مِنْ رَحْمَتِي حَظَّهُ وَلأُجْزِلَنَّ مِنْ عَطَائِي نَصِيبَهُ.

فَإِذَا قَالَ: ﴿**مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ قَالَ اللّه تَعالى: أُشهِدُكُمْ كَمَا اعْتَرَفَ بِأَنِّي أَنَا مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ لأُسَهِّلَنَّ يَوْمَ الْحِسابِ حِسَابَهُ، وَلأَتَقَبَّلَنَّ حَسَنَاتِهِ، وَلأَتَجَاوَزَنَّ عَنْ سَيِّئَاتِهِ.

فَإِذَا قَالَ: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، إِيَّايَ يَعْبُدُ أُشْهِدُكُمْ لأُثِيبَنَّهُ عَلَى عِبَادَتِهِ ثَوَاباً يَغْبِطُهُ كُلُّ مَنْ خَالَفَهُ فِي عِبَادَتِهِ لِي.

فَإِذَا قَالَ: ﴿**وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ قَالَ اللّهُ تَعالى: بِيَ اسْتَعَانَ عَبْدِي، وَإِلَيَّ الْتَجَأَ، أُشْهِدُكُمْ لأُعِينَنَّهُ عَلَى أَمْرِهِ، ولأُغيثَنَّهُ فِي شَدَائِدِهِ وَلآخُذَنَّ بِيَدِهِ يَوْمَ نَوَائِبِهِ.

فَإِذَا قَالَ: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾ إلى آخر السّورة قَالَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ وَقَد اسْتَجَبْتُ لِعَبْدِي وَأَعْطَيتُهُ مَا أَمَّلَ وَآمَنْتُهُ مِمَّا مِنْهُ وَجِلَ"[1] .

في رحاب سورة الفاتحة:

١. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

دأبت الأمم والشّعوب على أن تبدأ كلّ عمل هامّ ذي قيمة باسم كبير من رجالها. والحجر الأساس لكلّ مؤسّسة هامّة يوضع باسم شخصيّة مرموقة في نظر أصحابها، أي أنّ أصحاب المؤسّسة يبدأون العمل باسم تلك الشّخصيّة.

ولكن، أليس من الأفضل أن يبدأ العمل في أُطروحة أُريد لها البقاء والخلود باسم وجود خالد قائم لا يعتريه الفناء؟ فكلّ ما في الكون يتّجه إلى الزّوال والفناء، إلّا الذّات الأبديّة الخالدة... ذات الله سبحانه.

إنّ خلود ذكر الأنبياء سببه ارتباطهم بالله وبالقيم الإنسانيّة الإلهيّة الخالدة كالعدالة وطلب الحقيقة، وخلود اسم رجل في التّاريخ مثل "حاتم الطّائيّ" يعود إلى ارتباطه بواحدة من تلك القيم هي "السّخاء".

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨٢، ص٦٠.

صفة الخلود والأبديّة يختصّ بها الله تعالى من بين سائر الموجودات، ومن هنا ينبغي أن يُبدأ كلّ شيء باسمه وتحت ظلّه وبالاستمداد منه. ولذلك كانت البسملة أوّل آية في القرآن الكريم.

ولذلك جاء في الحديث النّبويّ الشريف: "كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُذْكَرُ اسْمُ اللهِ فيه فَهُوَ أَبْتَرُ"(٢).

وأمير المؤمنين عليه السلام بعد نقله لهذا الحديث الشريف قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ أَوْ يَعْمَلَ عَمَلاً فَيَقُولُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فَإِنَّهُ يُبَارَكَ فيه"٥.

ويقول الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: "... وَيَنْبَغي الاتْيَانُ بِهِ عِنْدَ افْتِتَاحِ كُلِّ أَمْرِ عَظِيمٍ أَوْ صَغِيرٍ لِيُبَارَكَ فيه"(٣).

بعبارة موجزة: بقاء العمل وخلوده يتوقّف على ارتباطه بالله.

٢. كلمة: الله

وهي علم للذات الإلهيّة المقدّسة وهي أشمل أسماء ربّ العالمين، فكلّ اسم ورد لله في القرآن الكريم وسائر المصادر الإسلاميّة يُشير إلى جانبٍ معيّن من صفات الله. والاسم الوحيد الجامع لكلّ الصفات والكمالات الإلهيّة أو الجامع لكلّ صفات الجلال والجمال هو "الله".

ولذلك اعتُبرت بقيّة الأسماء صفات لله تعالى مثل: "الغفور" و"الرحيم" و"السميع" و"العليم" و"البصير" و"الرزّاق" و"ذو القوّة" و"المتين" و"الخالق".

٣. الرّحمة الإلهيّة الخاصّة والعامّة:

المشهور بين جماعة من المفسّرين أنّ صفة "الرحمن" تُشير إلى الرحمة الإلهيّة العامّة، وهي تشمل الأولياء والأعداء، والمؤمنين والكافرين، والمحسنين والمسيئين، فرحمته تعمّ المخلوقات، وخوان فضله ممدود أمام جميع الموجودات، وكلّ العباد يتمتّعون بموهبة الحياة، وينالون حظّهم من مائدة نعمه اللّامتناهية. وهذه هي رحمته العامّة الشاملة لعالم الوجود كافّة وما فيه من كائنات.

وصفة "الرحيم" إشارة إلى رحمته الخاصّة بعباده الصالحين المطيعين، قد شملتهم بإيمانهم وعملهم الصالح، وَحُرِم منها المنحرفون والمجرمون.

---

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٧، ص١٧٠.

(٣) لتفسير الصافي، الكاشاني، ج١، ص٨٢.

وفي روايــة عن الإمــام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قالَ: "وَاللهِ إلهُ كُلِّ شَيْءٍ الرَّحْمنُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً".

٤. الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بعـد البسملة، أوّل واجبات العبـاد أن يستحضروا دوماً مبدأ عالم الوجـود، ونِعَمه اللامتناهية، هذه النِّعـم الّتي تُحيطنا وتغمر وجودنا، وتهدينا إلى معرفة الله من جهة، وتدفعنا إلى طريق العبوديّة من جهة اُخرى.

وعندمـا نقـول إنّ النِّعم تُشكّل دافعـاً ومحرِّكاً إلى طريـق العبوديّة فذلـك، لأنّ الإنسان مفطور على البحث عن صاحب النعمة حينما تصله النعمة، ومفطور على أن يشكر المنعم على إنعامه.

من هنا فإنّ علماء الكلام (علماء العقائد) يتطرّقون في بحوثهم الأوّلية لهذا العلم إلى "وجوب شكر المنعم" باعتباره أمراً فطريّاً وعقليّاً دافعاً إلى معرفة الله سبحانه.

وإنّمـا قُلنـا إنّ النِّعم تهدينا إلى معرفة الله، لأنّ أفضل طريق وأشمـل سبيل لمعرفته سبحانه، دراسة أسرار الخليقة، وخاصّة ما يرتبط بوجود النِّعم في حياة الإنسان.

خـطّ التوحيد الّذي دعا إليـه الأنبياء عليهم السلام يتميّز بنبذ فكرة الأرباب المتعدِّديـن، وهداية البشريّة نحو الإلـه الواحد الأحـد، وانطلاقاً من هذه الأهميّة القصـوى للقضاء على الآلهة المتعـدِّدة جاء التأكيد القرآنيّ بعد آية البسملة بقوله: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وبهذا يرسم القرآن الكريم خطّ البطلان على جميع الأرباب المزيّفين، ويغرس محلّها أزهار التوحيد والاتّحاد.

هـذا التأكيـد يتلوه الإنسان المسلم عشر مرّات في صلواته اليوميّة - على الأقل - لتترسّخ فكرة التوحيد، وفكرة رفض ربوبيّة كلّ الأرباب المدّعاة، غير ربوبيّة الله ربّ العالمين.

ربوبيّة الله طريق لمعرفة الله

كلمـة (الـربّ)، وإن كانت تعني في الأصـل المالك والصاحب، إلّا أنّها تتضمّـن أيضاً معنى الصاحب المتعهّد بالتربية والرعاية.

وإمعــان النظر في المسيرة التكامليّة للموجودات الحيّة، وفي التغييرات والتحوّلات الّتي تجري في عالم الجماد، وفي الظروف الّتي تتوفّر لتربية الموجودات، وفي تفاصيل هذه الحركات والعمليّات، هو أفضل طريق لمعرفة الله. والتنسيق اللاإراديّ بين أعضاء جسدنا هو نموذج حيّ لذلك.

يقول تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[1] .

خلاصة الدرس

- من خصائص سورة الحمد أنّها أساس القرآن وأمّ الكتاب.
- أهمّيّــة هذه السّورة تتّضح من محتواها، فهي في الحقيقة عرض لكلّ محتويات القرآن من توحيد ومعــاد وهداية وضلال.. تتضمّن هذه السّــورة مراحل الإيمان الثلاث: الاعتقاد بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان. ويُمكن تقسيم هذه السّورة، من منظار آخر، إلى قسمين: قسم يختصّ بحمد الله والثناء عليه، وقسم يتضمّن حاجات العبد.

---

(١) سورة فصّلت، الآية: ٥٣.

للمطالعة

الإعجاز العلميّ في القرآن

كلّ الكواكب متحرّكة

لقد أصبح أمراً ثابتاً ومؤكّداً في علم الفلك الحديث بأنّه لا وجود لكوكب ساكن في الكون وأنّه لا صحّة لفكرة تقسيم السيّارات والكواكب إلى ثابتة ومتحرّكة كما كان يقول القدماء، بل إنّه لا وجود حتّى لكوكب واحد ساكن في هذا العالم اللّامتناهي. وحتّى سنين خلت كانت السيّارات تُعدّ بحدود الـ٣٠٠ مليون بينما صاروا يعجزون اليوم عن عدّها وإحصائها.

وقد ورد في القرآن الكريم بصراحة قول الله تعالى: **﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** أي أنّه لا وجود للكوكب الثابت بل إنّ كلّ واحد منها يسبح ويتحرّك في المدار الّذي حُدِّد له من قِبَل الله تعالى، في حين أنّ بطليموس كان يقول بأنّ الفلك الثامن ما هو إلّا عبارة عن فلك ثابت وأنّ الكواكب الموجودة فيه كواكب ساكنة، لكنّ القرآن الكريم يؤكّد أنّ الجميع في حالة حركة مستمرّة.

الجبال هي المسامير المُثبتة للأرض

لقد أصبح من الأمور الثابتة اليوم كون الجبال الواقعة فوق الأرض والممتدّة جذورها في عمق الكرة الأرضيّة هي السبب في استقرار الأرض. فلولا وجود هذه الجبال فإنّ هذه الكرة الأرضيّة الّتي تقطع أربعة فراسخ في حركتها الانتقاليّة في كلّ دقيقة وأربعة فراسخ أخرى في حركتها الموضعيّة في كلّ ثانية و٢٤٠ فرسخاً في حركتها الدورانيّة حول نفسها كانت في طريقها إلى الزوال والتلاشي، لكنّ هذه الجبال هي الّتي تمنع تلاشيها. وهذا الأمر سبق أن أشار إليه القرآن المجيد وأكّده

قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة مضت حيث قال تعالى: **﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾** كما جاء في سورة النبأ، الآية:

وكما يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في إحدى خطبه الغراء: "فطر الخلائق بقدرته ووتّد بالصخور ميدان أرضه[1]

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٤١.

٥

الدرس الخامس

سورة الفاتحة ٢

الدرس الخامس

سورة الفاتحة ٢

أهداف الدرس

١. أن يتبين الطالب بعضاً من معاني آيات سورة الفاتحة.

٢. أن يتعرف إلى صفات أهل الهدى والضلال.

١. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

هـذه الآيـة تُلفت الأنظار إلى أصل هامّ آخر من أصول الإسلام، هو يوم القيامة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وبذلك يكتمل محور المبدأ والمعاد، الّذي يُعتبر أساس كلّ إصلاح أخلاقيّ واجتماعيّ في وجود الإنسان.

تعبير (مَالِكِ) يوحي بسيطرة الله التامّة وهيمنته المستحكمة على كلّ شيء وعلى كلّ فرد في ذلك اليوم، حيث تحضر البشريّة في تلك المحكمة الكبرى، وتقف أمام مالكها الحقيقيّ للحساب، وترى كلّ ما فعلته وقالته، بل وحتّى ما فكّرت به، حاضراً..

الإيمان بيوم القيامة، وبتلك المحكمة الإلهيّة الكبرى الّتي يخضع فيها كلّ شيء للإحصاء الدقيق، له الأثر الكبير في ضبط الإنسان أمام الزلّات، ووقايته من السقوط في المنحدرات. وأحد أسباب قدرة الصلاة على النهي عن الفحشاء والمنكر هو أنّها تُذكّر الإنسان بالمُبدئ المطّلع على حركاته وسكناته، وتُذكّره أيضاً بمحكمة العدل الإلهيّ الكبرى.

التركيز على مالكيّة الله ليوم القيامة يُقارع من جهة أُخرى معتقدات المشركين ومنكري المعاد، لأنّ الإيمان بالله عقيدة فطريّة عامّة، حتّى لدى مشركي العصر الجاهليّ، وهذا ما يُوضّحه القرآن إذ يقول: **﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾**[1] بينما الإيمان بالمعاد ليس كذلك، فهؤلاء المشركون كانوا يواجهون مسألة المعاد بعناد واستهزاء ولجاج: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ**

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾[٢].

وروي عن الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام: "أَنَّه كَانَ إذا قَرَأَ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يُكَرِّرُهَا حَتَّى يَكَاد أَنْ يَمُوتَ"[٣].

أمّا تعبير "يَوْمِ الدِّينِ"، فحيثما ورد في القرآن يعني يوم القيامة، وتكرّر ذلك في أكثر من عشرة مواضع من كتاب الله العزيز، وفي الآيات ١٧ و١٨ و١٩ من سورة الانفطار ورد هذا المعنى بصراحة.

وأمّا سبب تسمية هذا اليوم بيوم الدِّين، فلأنّ يوم القيامة يوم الجزاء، و"الدِّين" في اللغة "الجزاء"، والجزاء أبرز مظاهر القيامة، ففي ذلك اليوم تُكشف السرائر ويُحاسب النّاس عمّا فعلوه بدقّة، ويرى كلّ فرد جزاء ما عمله صالحاً أم طالحاً.

وفي حديث عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول: "يَوْمُ الدِّينِ هُوَ يَوْمُ الْحِسَابِ"[٤] "والدِّين" إستناداً إلى هذه الرواية يعني "الحساب".

٢. إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

في هذه الآية يتغيّر لحن السّورة، إذ يبدأ فيها دعاء العبد لربّه والتضرّع إليه. الآيات السابقة دارت حول حمد الله والثناء عليه، والإقرار بالإيمان والاعتراف بيوم القيامة. وفي هذه الآية يشعر الإنسان- بعد رسوخ أساس العقيدة ومعرفة الله في نفسه- بحضوره بين يدي الله... يُخاطبه ويُناجيه، ويُقرّ أوّلاً بتعبّده، ثمّ يستمدّ العون منه وحده دون سواه: **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**.

بعبارة أُخرى: عندما تتعمّق مفاهيم الآيات السابقة في وجود الإنسان، وتتنوّر روحه بنور ربّ العالمين، ويُدرك رحمة الله العامّة والخاصّة، ومالكيّته ليوم الجزاء، يكتمل الإنسان في جانبه العقائديّ. وهذه العقيدة التوحيديّة العميقة، ذات عطاء يتمثّل.

أوّلاً: في تربية الإنسان العبد الخالص لله، المتحرّر من العبوديّة للآلهة الخشبيّة والبشريّة والشهويّة.

ثانياً: في الاستمداد من ذات الله تبارك وتعالى خاصّة دون غيره.

---

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٧ – ٨.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٦، ص١٥٢.

(٤) الأمثل، مكارم الشيرازي، ج١، ص٤٨.

الآيات السابقة تحدّثت في الحقيقة عن توحيد الذَّات والصِّفات، وهذه الآية تتحدّث عن توحيد العبادة وتوحيد الأفعال.

وقد ذكرنا في درس سابق معنى هذا التوحيد الّذي يعني أنّ الله هو المؤثّر الحقيقيّ في العالم (لاَ مُؤَثِّرَ فِي الْوُجُودِ إلاَّ الله). وهذا لا يعني إنكار عالم الأسباب، وتجاهل المسبّبات، بل يعني الإيمان بأنّ تأثير الأسباب إنّما كان بأمر الله، فالله سبحانه هو الّذي يمنح النار خاصّيّة الإحراق، والشمس خاصّيّة الإنارة، والماء خاصّيّة الإحياء.

ثمرة هذا الاعتقاد أنّ الإنسان يُصبح معتمداً على (الله) دون سواه، ويرى أنّ الله هو القادر العظيم فقط، ويرى ما سواه شبحاً لا حول له ولا قوّة بل لا يرى شيئاً غير الله، وهو وحده سبحانه اللائق بالاتّكال والاعتماد عليه في كلّ الأمور.
وبالتّالي هو الواحد الّذي يستحقّ العبادة فلا معبود سواه.

٣. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

بعد أن يُقرّ الإنسان بالتسليم لربّ العالمين، ويرتفع إلى مستوى العبوديّة لله والاستعانة به تعالى، يتقدّم هذا العبد بأوّل طلب من بارئه، وهو الهداية إلى الطريق المستقيم، طريق الطّهر والخير، طريق العدل والإحسان، طريق الإيمان والعمل الصالح، ليهبه الله نعمة الهداية كما وهبه جميع النِّعم الأخرى.

الإنسان في هذه المرحلة مؤمن طبعاً وعارف بربّه، لكنّه معرّض دوماً بسبب العوامل المضادّة إلى سلب هذه النعمة والانحراف عن الصراط المستقيم. من هنا كان عليه لزاماً أن يُكرِّر عشر مرّات في اليوم على الأقلّ طلبه من الله أن يقيه العثرات والانحرافات.

أضف إلى ما تقدّم أنّ الصراط المستقيم هو دين الله، وله مراتب ودرجات لا يستوي في طيّها جميع النّاس، ومهما سما الإنسان في مراتبه، فثمّة مراتب أُخرى أبعد وأرقى، والإنسان المؤمن توّاق دوماً إلى السير الحثيث على هذا السلّم الارتقائيّ، وعليه أن يستمدّ العون من الله في ذلك.

عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، في تفسير ﴿**اهدنا الصِّراطَ المُستَقيمَ**﴾ قال: أي: "أَدِمْ لَنَا تَوْفِيقَكَ الَّذِي أَطَعْنَاكَ بِهِ فِي مَا مَضى مِنْ أَيَّامِنَا، حَتَّى نُطِيعَكَ فِي مُسْتَقْبَلِ أَعْمَارِنَا"[1].

وقال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: "يَعْنِي أَرْشِدْنَا لِلُزُومِ الطَّرِيقِ المُؤَدّي إلى مَحَبَّتِكَ، وَالمُبَلِّغِ إلى جَنَّتِكَ، وَالمَانِعِ مِنْ أَنْ نَتّبِعَ أَهْواءَنَا فَنَعْطَبَ، أو أَنْ نَأْخُذَ بِآرَائِنَا فَنَهْلَكَ"[2].

٤. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ

خطّان منحرفان!

هذه الآية تفسير واضح للصراط المستقيم المذكور في الآية السابقة، إنّه صراط المشمولين بأنواع النِّعم (مثل نعمة الهداية، ونعمة التوفيق، ونعمة القيادة الصالحة، ونعمة العلم والعمل والجهاد والشهادة) لا المشمولين بالغضب الإلهيّ بسبب سوء فعالهم وزيغ قلوبهم، ولا الضائعين التائهين عن جادّة الحقّ والهدى.

ولأنّنا لسنا على معرفة تامّة بمعالم طريق الهداية، فإنّ الله تعالى يأمرنا في هذه الآية الكريمة أن نطلب منه هدايتنا إلى طريق الأنبياء والصالحين من عباده: (الَّذينَ أَنْعَمتَ عَلَيْهِمْ)، ويُحذِّرنا كذلك من أنّ أمامنا طريقين منحرفين، وهما طريق (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)، وطريق (الضَّالِّينَ)، وبذلك يتبيّن للإنسان طريق الهداية بوضوح.

١. من هم (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)؟

تُبيّن الآية الكريمة من سورة النساء من هم الّذين أنعم الله عليهم، إذ يقول تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[3].

---

(١) معاني الأخبار، الصدوق، ص٣٣.

(٢) م.ن، ص٣٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

والآية تُقسِّم الّذين أنعم الله عليهم إلى أربعة مجاميع: الأنبياء، والصدّيقين، والشهداء، والصالحين.

٢. من هم (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)، ومن هم (الضَّالِّينَ)؟

يتّضح من الآية الكريمة أنّ (الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) و (الضَّالِّينَ) مجموعتان لا مجموعة واحدة، وأمّا الفرق بينهما:

فإنّه يُستفاد من استعمال التعبيرين في القرآن أنّ "المغضوب عليهم" أسوأ وأحطّ من "الضّالّين"، أي إنّ الضّالين هم التائهون العاديّون، والمغضوب عليهم هم المنحرفون المعاندون، أو المنافقون، ولذلك استحقّوا لعن الله وغضبه.

قال تعالى: ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾[2].

(الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) إذاً يسلكون - إضافة إلى كفرهم - طريق اللّجاج والعناد ومعاداة الحقّ، ولا يألون جهداً في توجيه ألوان التنكيل والتعذيب لقادة الدعوة الإلهيّة.

يقول سبحانه: ﴿وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[3].

خلاصة الدرس

في هذه السورة المباركة يكون الإنسان بين يدي الله، فهو مالك يوم الدِّين أي يوم الحساب، يُخاطبه ويُناجيه، يتحدّث إليه أوّلاً عن تعبّده، ثمّ يستمدّ العون منه وحده دون سواه قائلاً: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ". ويسأله الهداية: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيم، أي طريق الطّهر والخير، طريق العدل والإحسان، طريق الإيمان والعمل الصالح، الّذي هو طريق الأنبياء والصالحين من عباده لا طريق المغضوب عليهم والضالّين.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

للمطالعة

من اسرار القرآن

مــن الأســرار الّتي أشار إليها القرآن الكريم كرويّة الأرض، قال تعالى: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا**﴾[٤] ﴿**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ**﴾[٥] ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ**﴾[٦]

ففــي هــذه الآيات الكريمة دلالة على تعدّد مطالع الشمس ومغاربهــا، وفيها إشارة إلى كرويّة الأرض، فــإنّ طلوع الشمس على أيّ جزء من أجــزاء الكرة الأرضيّة يُلازم غروبها عن جزء آخر، فيكون تعدّد المشــارق والمغــارب واضحاً لا تكلّف فيــه ولا تعسّف. وقد حمل القرطبيّ وغــيره المشارق والمغارب على مطالع الشمس ومغاربها باختلاف أيّام السنة، لكنّه تكلّف لا ينبغي أن يُصار إليه، لأنّ الشمس لم تكن لها مطالع معيّنة ليقع الحلف بها، بل تختلف تلك باختلاف الأراضي. فلا بدّ من أنّ يُراد بها المشارق والمغارب الّتي تتجدّد شيئاً فشيئاً باعتبار كرويّة الأرض وحركتها.

وفي أخبار أئمّة الهدى من أهل البيت عليهم السلام وأدعيتهم وخطبهم ما يدلّ على كرويّة الأرض.
ومن ذلك ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: " صحبني رجل كان يُمسي بالمغرب ويغلس بالفجر، وكنــت أنــا أُصلّي المغرب إذا غربت الشمس، وأصلّي الفجر إذا استبان لي الفجر. فقال لي الرجل: ما يمنعــك أن تصنــع مثل ما أصنع؟ فإنّ الشمس تطلع على قوم قبلنــا وتغرب عنّا، وهي طالعة على قوم آخريــن بعد. فقلت: إنّما علينا أن نُصلّــي إذا وجبت الشمس عنّا وإذا طلع الفجر عندنا، وعلى أولئك أن يُصلّوا إذا غربت الشمس عنهم "[٧]

يستدلّ الرجل على مراده باختلاف المشرق والمغرب الناشئ عن استدارة الأرض، ويُقرّه الإمام عليه السلام

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٥) سورة الصافات، الآية: ٥.

(٦) سورة المعارج، الآية: ٤٠.

(٧) الوسائل، ج ١، ص ٢٣٧، باب ١١٦، أنّ أوّل وقت المغرب غروب الشمس.

على ذلك ولكن يُنبّهه على وظيفته الدينيّة.

ومثله قول الإمام عليه السلام في خبر آخر: "إنّما عليك مشرقك ومغربك".[1]

ومن ذلك ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند الصباح والمساء:

"وجعل لكلّ واحد منهما حدّاً محدوداً، وأمداً ممدوداً، يولج كلّ واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد[2]"

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٢١.

(٢) الصحيفة السجّادية الكاملة.

٦

الدرس السادس

سورة الشمس

الدرس السادس

سورة الشمس

أهداف الدرس:

- أن يحفظ الطالب سورة الشمس المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ❖ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ❖ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ❖ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ❖ وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا ❖ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ❖ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ❖ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ❖ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ❖ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ❖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ❖ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

شرح المفردات:

١- الضحى: انتشار نور الشمس.	٦- زكاها: طهرها.
٢- تلاها: اتبعها.	٧- دساها: أخفاها أو جعلها قليلة.
٣- جلاها: أظهرها و أبرزها.	٨- طغوها: طغيانها.
٤- يغشاها: يغطيها أو يلبسها السواد.	٩- عقروها: أهلكوها.
	١٠- دمدم: عذب وعاقب وأهلك.
٥- طحاها: بسطها ومهدها.	١١- عقبها: عاقبتها.

محتوى السورة وفضيلتها:

نزلت هذه السورة في مكّة، وهي في الواقع سورة تهذيب النفس، وتطهير القلوب من الأدران، ومعانيها تدور حول هذا الهدف.

وفي مقدّمتها قسَمٌ بأحد عشر مظهراً من مظاهر الخليقة وبذات الباري سبحانه، من أجل التأكيد

على أنّ فلاح الإنسان يتوقّف على تزكية نفسه.

والسورة فيها من القسَم ما لم يجتمع في سورة أخرى.

وفي المقطع الأخير من السورة ذكر لقوم ثمود باعتبارهم نموذجاً من أقوام طغت وتمرّدت، وانحدرت بسبب ترك تزكية نفسها إلى هاوية الشقاء الأبديّ، والعقاب الإلهيّ الشديد.

هـذه السـورة القصيرة في الواقع تكشف عن مسألة مصيريّة هامّـة من مسائل البشريّة، وتبيّن نظام الإسلام في تقييم أفراد البشر.

وفي فضيلة تلاوة هذه السورة يكفي أن نذكر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال فيه: "من قرأها فكأنّما تصدّق بكلّ شيء طلعت عليه الشمس والقمر"[1].

في كنف السورة:

1. الظواهر الكونيّة والنفس الإنسانيّة:

إنّ اقـتران النفس الإنسانيّـة مع الظواهر الكونيّة كالشمس والقمر والأرض والسماء والليل والنهار، مـع مـا تتضمّنه هذه الظواهر من عظمة يدلُّ على عظمة النفس الإنسانيّة ومدى دورها في هذا الكون العظيم.

فموضـوع النفس الإنسانيّة موضوع خطير وعظيم، كعظمـة السماء والأرض والشمس والقمر... فهي (أي النفـس الإنسانيّة) تستحقّ الاهتمام مـن الإنسان ومعرفة ما يصلحها وما يفسدها، كما أنّ هذه الظواهر تستحقّ التفكُّر.

من هنا تعمل هذه الأقسام على تحريك الفكر في الإنسان كي يُمعن النظر في هذه الموضوعات الهامّة من عالم الخليقة، وليتّخذ منها سبيلاً إلى الله تعالى.

فالشـمس مثـلاً: ذات دور هامّ وبنّاء جدّاً في الموجودات الحيّـة على ظهر البسيطة. فهي إضافة إلى كونهـا مصدراً للنور والحرارة - وهمـا عاملان أساسان في الحياة الأرضيّـة - تعتبر مصدراً لغيرهما من المظاهر الحياتيّة؛ حركة الرياح، وهطول الأمطار، ونموّ النباتات، وجريان الأنهار والشلّالات، بل حتّـى نشوء مصـادر الطاقة مثل النفط والفحم الحجريّ، كلّ واحد منهـا يرتبط بشكل أو بآخر بنور الشمس.

ولو قدّر لهذا المصباح الحياتيّ أن ينطفئ يوماً لساد الظلام والموت في كلّ مكان.

---

(1) مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، ج10، ص496.

هذا جانب من التفكُّر في بعض ما أقسمت به هذه السورة المباركة وهو جزء بسيط جدّاً من هذا الكون الشاسع.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

٢. أهمّيّة تهذيب النفس:

كلّما ازداد عدد أقسام القرآن ازدادت أهميّة الموضوع. وفي هذه السورة المباركة أكبر عدد من الأقسام، ثمّ جاء التركيز على أنّ النجاح والفلاح في تزكية النفس، وأنّ الخيبة والخسران في ترك التزكية. وهذه في الواقع أهمّ مسألة في حياة الإنسان. والقرآن إذ يطرح هذه الحقيقة إنّما يؤكد على أنّ فلاح الإنسان لا يتوقّف على جمع المال والمتاع الفاني ونيل المنصب والمقام، ولا على أعمال أشخاص آخرين كما هو معروف عند المسيحيّين بشأن ارتباط فلاح الإنسان بتضحية المسيح، بل الفلاح يرتبط بتزكية النفس وتطهيرها وسموّها في ظلّ الإيمان والعمل الصالح.

وشقاء الإنسان ليس أيضاً وليد قضاء وقدر اجباريّين، ولا نتيجة مصير مرسوم، ولا بسبب فعل هذا أو ذاك، بل هو بسبب التلوّث بالذنوب والانحراف عن مسير التقوى.

وفي التاريخ نماذج عديدة تؤكّد هذه الحقيقة.

ففي الأثر أنّ زوج العزيز -زليخا- قالت ليوسف لمّا أصبح حاكم مصر: إنّ الحرص والشهوة يصيّران الملوك عبيداً، وإنّ الصبر والتقوى يصيّران العبيد ملوكاً، فقال يوسف عليه السلام: قال الله تعالى: **﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[2].

وعنها أيضاً قالت لمّا رأت موكب يوسف مارّاً من أمامها: "الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً"[3].

٣. عاقبة أمّة لم تهذّب نفسها:

الفلاح والخيبة الناتجان عن تزكية النفس وعدمها، غير مقتصرين على الإنسان الفرد، بل هذه

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٩١.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٣) نقلاً عن الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ج٢٠، ص٢٤٨.

السنّــة الإلهيّــة تنطبق على الأمم. والآيــات الأخيرة من هذه الســورة المباركة تشــير إلى هذه السنّة الإلهيّة، فتتحدّث عن مصير قوم "ثمود" بعبارات قصيرة قاطعة ذات مدلول عميق.

فقــوم ثمــود من أقدم الأقوام الّتي سكنــت منطقة جبليّة بين الحجاز والشــام. كانت لهم حياة رغدة مرفّهــة، وأرضــ خصبة، وقصور فخمــة، غير أنّهم لم يؤدّوا شكر هذه النعم، بـل طغوا وكذّبوا نبيّهم صالحاً عليه السلام، واستهزأوا بآيات الله تعالى، فكان عاقبة أمرهم أن أُبيدوا بصاعقة سماويّة.

ثــمّ تستعرض السورة المباركة مقطعاً بارزاً من طغيان القوم وتقــول: إذ انبعث أشقاها، وأشقى ثمود هــو الّــذي عقر الناقة الّتي ظهــرت باعتبارها معجزة بين القوم، وكان قتلهــا إعلان حرب على النبيّ صالح عليه السلام.

هذا ويلاحظ أنّ قاتل الناقة شخص واحد أشارت إليه الآية: ﴿**إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا**﴾.

بينما نُسب العقر إلى قوم ثمود جميعاً ﴿**فَعَقَرُوهَا**﴾، وهذا يعني أنّ كلّ هؤلاء القوم كانوا مشاركين في الجريمة، وذلك لأنّ هذه الجريمة تمّت برضا القوم فهم شركاء في الجريمة بهذا الرضا.

وعــن أمــير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: "إنّمــا عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهــم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضا، فقال سبحانه: ﴿**فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ**﴾"[٤].

خلاصة الدرس

- سورة الشمس هي سورة تهذيب النفس، وتطهير القلوب.
- موضــوع النفســ الإنسانيّة يســاوي في أهميّته وخطورتــه، أهميّة وخطورة الظواهــر الكونيّة الّتي أقسم الله تعالى بها في هذه السورة.
- كثرة القسم تدلّ على أهميّة موضوع التزكية، وقد خاب وخسر من تركها.
- إنّ العقاب والخسران سنّة إلهيّة ستصيب كلّ غافل عن تزكية نفسه وهذا ما جرى مع قوم ثمود.

(٤) نهج البلاغة، ج٢، ص١٨١.

أسئلة الدرس

١. ماذا يراد من تزكية النفس؟

....

....

٢. ماذا تعرف عن ناقة نبيّ الله صالح عليه السلام؟

....

....

٣. ما هي المناسبة في ذكر قصّة الناقة؟

....

....

٤. اقتران النفس مع الأقسام بمظاهر كونيّة ماذا يعني؟ وما هي أهمّيّة الشمس؟

....

....

٥. اذكر الحادثة التاريخيّة الّتي تدلّ على أهمّيّة تهذيب النفس؟

....

....

للمطالعة

كلام الإمام الخمينيّ قدس سره حول تزكية النفس

إعلـم أنّ الإنسان أعجوبة، وله نشأتـان وعالمان: نشأة ظاهريّة ملكيّة دنيويّة وهي بدنه، ونشأة باطنيّة غيبيّـة ملكوتيَّـة وهي من عالم آخر. ولنفس الإنسان وهي من عـالم الغيب والملكوت مقامات ودرجات قسَّموهـا بصـورة عامّة إلى سبعـة أقسام حيناً، وإلى أربعة أقسام حيناً آخـر وحيناً إلى ثلاثة أقسام وحينـاً إلى قسمين. ولكلّ من المقامات والدرجات جنود رحمانيّة وعقلانيّة تجذب النفس نحو الملكوت الأعلى وتدعوها إلى السعادة، وجنود شيطانيّة وجهلانيّة تجذب النفس نحو الملكوت السفليّ وتدعوها للشقـاء. ودائماً هناك جـدال ونزاع بين هذين المعسكرين. والإنسان هـو ساحة حربهما، فإذا تغلّبت جنـود الرحمـن كان الإنسـان من أهل السعادة والرحمـة وانخرط في سلك الملائكـة وحشر في زمرة الأنبياء والأولياء والصالحين.

وأمّا إذا تغلّب جند الشيطان ومعسكر الجهل، كان الإنسان من أهل الشقاء والغضب، وحشر في زمرة الشياطين والكفّار والمحرومين.

إعلـم أنَّ مقـام النفس الأوّل ومنزلها الأسفل، هو منزل الملك والظاهر وعالمهما. وفي هذا المقام تتألّق الأشعّـة والأنـوار الغيبيّة في هذا الجسد المادّيّ والهيكل الظاهريّ، وتمنحـه الحياة العرضيّة، وتجهّز فيـه الجيوشـ، فكأنّ ميدان المعركة هو نفس هذا الجسد، وجنـوده هي قواه الظاهريّة الّتي وجدت في الأقاليـم الملكيّـة السبعة، يعني: "الأذن والعين واللسان والبطن والفـرج واليد والرجل". وجميع هذه القـوى المتوزّعة في تلـك الأقاليم السبعة هي تحـت تصرف النفس في مقام الوهـم. فالوهم سلطان جميـع القـوى الظاهريّة والباطنيّة للنفس، فإذا تحكّم الوهم على تلك القـوى سواء بذاته مستقلّاً أو بتدخّل الشيطان، جعلها أي

تلك القوى جنوداً للشيطان، وبذلك يجعل هذه المملكة تحت سلطان الشيطان، وتضمحلّ عندها جنود الرحمـن والعقل، وتنهـزم وتخرج من نشأة الملك وعـالم الإنسان وتهاجر عنـه، وتصبح هذه المملكة خاصّـة بالشيطان. وأمّا إذا خضع الوهم لحكم العقل وكلاهما خضعا لحكم الشرع وكانت حركاتهما

وسكناتهما مقيّـدة بالنظام والعقل والشرع، فقد أصبحت هذه المملكة مملكةً روحانيّة وعقلانيّة، ولم يجد الشيطان وجنوده محطّ قدم لهم فيها.

إذاً، فجهـاد النفس وهو الجهاد الأكبر الّذي يعلـو على القتل في سبيل الحقّ تعالى) هو في هذا المقام عبارة عن انتصار الإنسان على قواه الظاهريّة، وجعلها تأتمر بأمر الخالق، وتطهير المملكة من دنس وجود قوى الشيطان وجنوده[1]٦...

---

(١) الأربعون حديثاً، ص٢٩.

٧

الدرس السابع

سورة الليل

الدرس السابع

سورة الليل

أهداف الدرس:

- أن يحفظ الطالب سورة الليل المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيم آياتها.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ❖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ❖ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ❖ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ❖ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ❖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ❖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ❖ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ❖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ❖ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ❖ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ❖ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ❖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ❖ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ❖ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ❖ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ❖ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ❖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ❖ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ❖ إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ❖ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾

شرح المفردات

١- يغشى: يغطّي.	٦- العسرى: التعب والنصب والشقاء.
٢- تجلّى: ظهر.	٧- يغني: يقي ويحمي.
٣- شتّى: مختلف ومتنوّع.	٨- تردّى: هلك وسقط في العذاب.
٤- اليسرى: العمل الصالح.	٩- تلظّى: تشتعل وتتوهّج.
٥- استغنى: طلب الغنى.	١٠- يتزكّى: يتطهّر.

سبب النزول

هـذه السـورة مكّيّة، وقيل في سبب نزولها إنّ هـذه السورة نزلت في رجل كان له شجر نخل كثير. ومن تلك الأشجار نخلة مائلة تطلّ بفرعها على بيت فقير ذي عيالٍ. فكان الرجل يمنع عياله (الفقير) من أخـذ مـا يسقط من النخلة في الدار، وإذا أكل أحدهم شيئاً منها أدخل إصبعه في فيه وأخرجه. فشكا الفقير إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فعرض النبـيّ صلى الله عليه وآله وسلم على الرجـل أن يعطيه مقابل ذلك نخلـة في الجنّة فرفض. إلّا أنّ أحد المؤمنين اشـتراه منـه بأربعين نخلة وقام بإعطاء تلك النخلة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الّذي بادر إلى بيت الفقير ليعلمه بأنّ النخلة أصبحت ملكه، فأنزل الله هذه السورة[1].

محتوى السورة وفضيلتها

بعـد القسم بثلاث ظواهر في بداية السورة يأتـي تقسيم الناس إلى منفقين متّقين، وبخلاء منكِرين. وتذكـر عاقبـة كلّ مجموعة؛ اليسـرُ والسعادة والهنـاء للمجموعة الأولى، والعسـرُ والضنك والشقاء للمجموعة الثانية.

وفي مقطع آخر من السورة إشارة إلى أنّ الهداية على الله سبحانه، وأنّه تعالى أنذرهم من نار جهنّم. ثمّ تذكر السورة في نهايتها من يدخل هذه النار ومن ينجو منها، مع ذكر أوصاف الفريقين.

في فضيلة تلاوة هذه السورة ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: "من قرأها أعطاه الله حتّى يرضى، وعافاه من العسر ويسّر له اليسر"[2].

في كنف السورة:

في هذه السورة المباركة استفادات عديدة:

١. أنّها كما السورة السابقة:

"سـورة الشمـس" تحفِّز العقل والتفكـير الإنسانيّ على النظر والتأمّـل في الظواهر الكونيّة، ولا يمرُّ عليها مروراً لا فائدة فيه.

فـإنّ من المعـروف أنّ الشيء الّذي تراه دائماً يفقد الاهتمام والاعتنـاء، فالشمس مثلاً الناس يمرّون

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠١.

(٢) مجمع البيان، ج١٠، ص٤٩٩.

عليها ولا يعرفون قيمتها لأنّها دائماً في وجههم، وكذا الليل والنهار، فلذلك اعتادوا على هذه الظواهر ولم يعيروها التأمُّل، مع ما تحمل لهم ولاستقرارهم على الأرض من أهمّيّة.

هـذه السـورة كغيرها من السور الّتي تأتي على ذكر الظواهر الكونيّة تريد للإنسان أن ينظر إلى أبعد مـن أفق ذاته، ولا يحشر نفسه في محدوديّتها، وبذلك تكون نظرته شموليّة للكون، فيتّسع أفق تفكيره ويكبر.

كمـا أنّ التفكّـر في عظمـة الظواهـر الكونيّة "المعلول، المخلـوق" يدلُّنا على عظمـة موجدها "العلّة، الخالق"، وبذلك تنتعش النفس الإنسانيّة بالإيمان والتقوى والصلاح والطمأنينة.

٢. الذكر والأنثى:

السـورة المباركـة أيضاً تُلفت إلى ازدواجيّـة الحياة الإنسانيّة، وأنّ هناك أنثـى وذكراً، رجلاً وامرأة، ولكلٍّ منهما قيمته عند الله، فلولا الرجل ما كانت المرأة، ولولا المرأة ما كان الرجل، ولا عمرت الأرض بسكّانهـا. فالمـرأة والرجل شريـكان في هذه الحياة، وعلـى كلٍّ منهما أن يقوم بـدوره وأن يأخذ حقّه ويعطي الحقّ للآخر.

والمراجع للتاريخ يرى أنّ الإنسانيّة ظلمت المرأة عند كلّ مفصل ابتعدت فيه عن الرسائل الإلهيّة.

فمثـلاً عنـد عرب الجاهليّة لم يكن للمرأة وزن، وكانت لا ترث، وزواجها يرجع إلى أمر وليّها من دون أن يكون لها حقّ الاعتراض ولا المشورة، حتّى أنّ الولد يمنع أرملة أبيه من الزواج.

وكانـت المـرأة تُمنع من الزواج إلّا من قريبها لوجود حقّ الـدم عليها. وكانوا يفرحون إذا ولد لهم ولد ذكر، ويغتمّون إذا ولد لهم أنثى، إلى حدِّ وأد البنات ودفنهنّ حيّات، كما يذكر القرآن الكريم في عدّة آيات:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[١].

﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ❖ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[٢].

ففي التوراة المحرّفة: "درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمةً وعقلاً، ولأعرف الشرّ أنّه جهالة، والحماقـة أنّها جنون، فوجدت أمرّ من المـوت المرأة الّتي هي شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود،...

(١) سورة النحل، الآية:٥٨.

(٢) سورة التكوير، الآيتان: ٨ ـ ٩.

رجلاً واحداً بين ألف وجدت أمّا امرأة فبين كلّ أُولئك لم أجد"[٣].

ولم ينحصر الظلم بعرب الجاهليّة بل حتّى بعض الفلاسفة ظلموا المرأة بآرائهم، يقول الفيلسوف "روسّو": "إنّ المرأة لم تُخلق للعلم ولا للحكمة ولا للتفكير ولا للفنّ ولا للسياسة، وإنّما خلقت لتكون أمّاً تغذّي أطفالها بلبنها".

هـذا كلّـه بخلاف الإسلام الّذي رفع من قيمة المرأة وعرّفها حقيقتها وأكّد مسؤوليّتها كما الرجل، في كثير من آيات القرآن، ومنها هذه الآيات: ﴿**وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ❖ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ❖ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى**﴾.

كلّ ذلك يشمل الذكر والأنثى، فكلاهما مسؤول وكلاهما مثاب أو معاقب.

لذلك يقول تعالى مؤكّداً مسؤوليّة المرأة، وقدرتها على التكامل الإنساني كما الرجل:

﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[٤].

إلى غير ذلك من الآيات الّتي تشير إلى هذه الحقيقة.

٣. الهداية والإرادة:

فقوله تعالى: ﴿**إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾ يشير إلى حريّة الإرادة الإنسانيّة ذكراً كان الإنسان أو أنثى، وكون الإنسان مريداً مختاراً للطريق الّذي يسلكه إمّا التقى فالجنّة وإمّا التكذيب لله ورسوله فالنار.

ثم إنّ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**﴾.

إشارة إلى أنّ الله تعالى لم يترك الإنسان دون أن يُعطيه سبل الهداية، حيث خلقه عاقلاً مختاراً، وأرسل له الرسل وأنزل الكتب الإلهيّة، لا سيّما خاتم الرسل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وخاتمة الرسالات الإسلام العظيم، والقرآن الحكيم.

---

(٣) انظر: سفر الجامعة، الإصحاح السادس من العهد القديم.

(٤) سورة الأحزاب، الآية:٣٥.

خلاصة الدّرس

- تركّز سورة الليل على القيامة وما فيها من ثواب وعقاب.
- تحفّز هذه السورة المباركة العقل والفكر على التأمّل في الظواهر الكونيّة واستخلاص النتائج والعِبَر.
- لفتت هذه السورة إلى ازدواجيّة الحياة الإنسانيّة المؤلّفة من ذكر وأنثى، متابعة لمنهج الرسالات السماويّة وخاصّة الإسلام الّذي عرّف حقيقة الوجود الأنثويّ وأكّد مسؤوليّة المرأة في الحياة وقيمتها كما الرجل.
- أشارت الآيات الواردة فيها إلى حريّة الإرادة الإنسانيّة واختيار الإنسان للطريق الّذي يسلكه.

أسئلة الدرس

١ . ما معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾.

....

....

٢ . تتحدث السورة عن مجموعتين من الناس، تحدّث عنهما تفصيلاً.

....

....

٣ . فسّر قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾.

....

....

٤ . كيف تصوّر وضع المرأة تاريخيّاً؟ وماذا فعل الإسلام لها؟

....

....

٥ . كيف تستفيد من السورة الهداية والإرادة؟

....

....

للمطالعة

نخلة في الجنّة

روي عن ابن عبّاس في نزول هذه السورة: "أنّ رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر، فربّما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من النخلة حتّى يأخذ التمر من أيديهم، فإن وجدها في فيه أحدهم أدخل إصبعه حتّى يأخذ التمرة من فيه. فشكا ذلك الرجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة.

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إذهب.

ولقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب النخلة فقال: تعطيني نخلتك المائلة الّتي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنّة؟

فقال له الرجل: إنّ لي نخلاً كثيراً، وما فيه نخلة أعجب إليَّ تمرة منها.

قال: ثمّ ذهب الرجل.

فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله أتعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنّة إن أنا أخذتها؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم.

فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها منه فقال له: أشعرت أنّ محمّداً أعطاني بها نخلة في الجنّة فقلت له يعجبني تمرتها وإنّ لي نخلاً كثيراً فما فيه نخلة أعجب إليَّ تمرة منها؟

فقال له الآخر: أتريد بيعها؟

فقال: لا إلّا أن أُعطى ما لا أظنّه أعطى.

قال: فما مُناك؟

قال: أربعون نخلة.

فقال الرجل: جئت بعظيم، تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة؟!

ثمّ سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة.

فقال له: أَشْهِدْ إن كنت صادقاً.

فمرّ إلى أناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخلة، ثمّ ذهب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إنّ

النخلة صارت في ملكي، فهي لك.

فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى صاحب الدار، فقال له: النخلة لك ولعيالك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى...﴾"[1].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠١.

٨

الدرس الثامن

سورة الانشراح

الدرس الثامن

سورة الانشراح

أهداف الدرس:

- أن يحفظ الطالب سورة الانشراح المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيم آياتها الكريمة.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ❖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ❖ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ❖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ❖ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ❖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ❖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ❖ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾

شرح المفردات

١- نشرح: نبسط.	٤- العسر: الشدّة والضيق.
٢- الوزر: الحمل الثقيل.	٥- اليسر: الراحة.
٣- أنقض: أثقل أو كسر.	٦- النصب: التعب.

محتوى السورة وفضيلتها:

في سورة الضحى عرض لثلاث هبات إلهيّة بعضها مادّيّ وبعضها معنويّ، وفي هذه السورة ذكر لثلاث هبات أيضاً غير أنّ جميعها معنويّ. وتدور السورة بشكل عامّ حول ثلاثة محاور:

الأوّل: بيان النعم الثلاث: شرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر.

الثاني: تبشير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بزوال العقبات أمام دعوته.

والثالث: الترغيب في عبادة الله الواحد الأحد.

ولذلك ورد عن أهل البيت عليهم السلام ما يدلّ أنّ هاتين السورتين سورة واحدة كما ذكرنا، وأوجب قراءتهما معاً في الصلاة لوجوب قراءة سورة كاملة بعد الحمد.

في فضيلة هذه السورة ورد عن النبيّ الأكرم ﷺ أنّه قال: "من قرأها أُعطيَ من الأجر كمن لقي محمّداً مغتمّاً ففرّج عنه"(١).

في كنف السورة:

سورة الإنشراح المباركة فيها العديد من الاستفادات، منها:

١. شرح الصدر:

مسألة شرح الصدر وردت في العديد من الآيات القرآنيّة، ففي سورة الأنعام، الآية/١٢٥، قال تعالى: **﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء﴾**.

وفي سورة النحل، الآية/١٠٦، قال تعالى: **﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾**.

وفي سورة طه، الآية/٢٥، بخصوص دعاء النبيّ موسى عليه السلام قال تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾**.

وفي سورة الزمر، الآية/٢٢، قال تعالى: **﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ﴾**.

وفي هذه السورة (الانشراح): **﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾**.

وهنا نقف على بعض الاستفادات من هذه الآيات:

أ- الهداية وشرح الصدر في الإسلام:

فآية الأنعام/١٢٥، وآية الزمر/٢٢، تشيران بوضوح أنّ الله يهدي وينير طريق من شرح صدره للإسلام وآمن بعقيدته (بالله تعالى وبالأنبياء ومنهم رسول الله ﷺ واليوم الآخر يوم الجزاء)، أمّا من شرح صدره للكفر (النحل/١٠٦)، وضلَّ عن الإسلام فهو ضيِّق الصدر.

وهذه حقيقة ترونها بوضوح إذا قارنتم بين المسلم الّذي شرح صدره للإسلام بكلّ تعاليمه، وبين الكافر أو المنافق أو الفاسق الّذين أقفلوا صدورهم عن الإسلام.

فالصنف الأوّل، منشرح الصدر والعقل، مطمئنّ الروح، مستقرّ النفس، والصنف الثاني، ضيّق الصدر والفكر، قلق الروح، خائف النفس، وهذه حقيقة لا شكّ فيها.

ولا نريد أن نأتي بتقارير عن المأزق والضيق الروحيّ والنفسيّ والعقليّ والحياتيّ الّذي يعيش فيه الصنف الثاني، فالتقارير كثيرة تملأ صفحات الجرائد والمجلّات، فهذا يَقتل، وذاك ينتحر، وآخر

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠٧.

مريض نفسيّاً في المصحّات، إلى آخر الأوبئة الفرديّة والاجتماعيّة.

ب- المقصود من "الصدر":

هنا هو الروح والفكر. وهذه الكناية ترد كثيراً. والمقصود من "الشرح" هو اتّساع الروح وارتفاع الفكر وانفساح أفق العقل البشريّ، لأنّ تقبّل الحقّ يستدعي التنازل عن الكثير من المصالح الشخصيّة، ممّا لا يقدر عليه إلّا ذوو الأرواح العالية والأفكار السامية.

جـ- معجزة قرآنيّة علميّة:

ثبت اليوم علميّاً أنّ الهواء المحيط بالأرض مضغوط وصالح لتنفّس الإنسان، ولكنّنا كلّما ارتفعنا قلّت كثافة الهواء ونسبة وجود الأوكسجين فيه، بحيث إنّنا إذا ارتفعنا بضعة كيلومترات أصبح من الصعب أن نتنفّس بسهولة (بغير قناة الأوكسجين)، وإذا ما واصلنا صعودنا ازداد ضيق تنفّسنا وأصبنا بالاغماء. إن ذكر هذا التشبيه في سورة (الأنعام/١٢٥)[1]، وفي زمن نزول القرآن، قبل أن تثبت هذه الحقيقة العلميّة، يُعتبر واحداً من معجزات القرآن العلميّة.

د- في خصوص الآية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ في سورة الانشراح:

بعد أن عرفنا أهمّيّة شرح الصدر للإسلام، ومدى ضرورتها للإنسان المسلم لهدايته وارتقائه الفكريّ والمعنويّ، نعلم مدى أهميّة ذلك للأنبياء والرسل، حيث كلّما كان دور الإنسان أعظم كانت الحاجة إلى شرح الصدر أعظم.

لذلك نرى النبيّ موسى عليه السلام يدعو ربَّه، عندما أمره بالذهاب إلى فرعون

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ❖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[2].

فلا يمكن لقائد كبير أن يجابه العقبات دون انشراح الصدر. ومن كانت رسالته أعظم (كرسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم) كانت الضرورة لشرح صدره أكبر.

---

(١) يقول تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾

(٢) سورة طه، الآيتان:٢٥-٢٦.

والمتمعّـن في حياة الأنبياء وخاصّة رسول الله ﷺ الّذي قال: "ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت"(٣)، يرى مدى تحمّلهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم، وكلّ ذلك بعون الله وتوفيقه.

٢. رفع الذكر:

يفهـم كثير من الناس الإسلام فهماً خاطئاً، فمثـلاً: بعض الناس يحسب أنّ الإسلام يحبس الإنسان في ذاتـه، ويكبـت طموحاته حتّى ولو كانت شريفة، ولا يرضى للإنسان أن يكون مشهوراً بالمطلق. هذه النظـرة ينفيهـا العديد من الآيـات ومنها هذه الآية، حيث عـدّ الله من النعم علـى رسول الله "رفع الذكر" الّذي يعني الاشتهار بالذكر المرتفع الحسن.

فـلا ضير أن يكون المؤمن مشهوراً بالفكر الواسع، والأخـلاق الحسنة، والفضائل الكريمة، طالما أنّها في رضا الله لا رضا الذّات.

فهـذا محمّد ﷺ الفقير اليتيم أصبح رسول الله، فاسمه مع الإسلام والقرآن قد ملأ الآفاق، وأكثر مـن ذلك اقترن اسمه باسم الله سبحانه في الأذان يرفع صباح مساء على المآذن، والشهادة برسالته لا تنفكّ عن الشهادة بتوحيد الله...

وفي الفضائل والمكارم والذكر الحسن فليتنافس المتنافسون.

٣. إنّ مع العسر يسراً:

هـذه الحقيقة ينبغي أن تظلّ في القلوب، خاصّة عند الضيـق والمشاكل والمتاعب والفقر. لقد أكّد الله تعـالى هـذه الحقيقة مرّتين، فلن يبقى الفـرد ولا الأمّة على حالة الضيق، فإنّ مـع الضيق سعةً، ومع الفقر غنىً، ومع الشدّة فرجاً، وهذا ما نتعلّمه من حياة رسول الله ﷺ والمسلمين الأوائل الّذين كانوا في أشدّ ضيق، من الحصار الاجتماعيّ والاقتصاديّ والنفسيّ، فأشرق الفرج من بعد العسر.

فالآية تؤكّد صفة التفاؤل في نفس المؤمن، وتبعد عنه هواجس التشاؤم والقلق.

٤. العمل الدائم والاعتماد على الله تعالى:

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ❖ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾

ذكر المفسّرون لتفسير الآيتين معاني، منها:

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، ج٣، ص٤٢.

إذا فرغت من فريضة الصلاة فادع اللّه واطلب منه ما تريد.

أو عند فراغك من أمور الدنيا ابدأ بأمور الآخرة والصلاة وعبادة الربّ.

أو عند فراغك من الواجبات توجّه إلى المستحبّات الّتي حثّ اللّه عليها.

أو عند فراغك من جهاد الأعداء انهض إلى العبادة.

أو عند فراغك من جهاد الأعداء ابدأ بجهاد نفسك.

أو عند انتهائك من أداء الرسالة انهض لطلب الشفاعة.

أو كما عن الحسكانيّ، حيث روى عن الإمام الصادق عليه السلام في "شواهد التنزيل" في تفسير الآية: "إذا فرغت فانصب عليّاً بالولاية"[1].

أو كما عن القرطبيّ في تفسيره حيث روى عن بعضهم أنّ معنى الآية: إذا فرغت فانصب إماماً يخلفك.

ولكن كلّ هذه المعاني يجمعها معنى عامّ، وهدفها أن تحثّ المسلمين على عدم الخلود إلى الراحة، وتدعوه إلى السعي والعمل الدائم، اعتماداً واتّكالاً على اللّه تعالى.

خلاصة الدرس

- لقد بيّنت سورة الانشراح ثلاث نِعَمٍ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وبشّرته بزوال العقبات أمام دعوته، ودعت إلى عبادة اللّه والرغبة إليه.
- يهدي اللّه تعالى إليه من شرح صدره متقبّلاً للإسلام ومعتقداً بما أمر به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل هذا يكون مطمئنّاً مستقرّاً راضياً، أمّا من ضاق صدره بالإسلام وشرح للكفر صدراً فإنّ حياته تكون في قلق واضطراب دائمين.
- لا ضير أن يكون المؤمن مشهوراً بأخلاقه الحسنة وصفاته الحميدة طالما أنّها في رضا اللّه لا رضا الذات.
- تؤكّد السورة على صفة المؤمن من المتفاءل لا المتشائم.
- ينبغي للمؤمن أن تكون حياته في سعي دائم.
- ينبغي فيه رضا اللّه سبحانه.

(١) راجع: شواهد التنزيل، الحاكم الحسكانيّ، ج٢، ص٤٥١، ح١١١٦ إلى ١١١٩.

أسئلة الدرس

١. لماذا تكرّرت الآية ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مرّتين؟

....

....

٢. ما هو المقصود من شرح الصدر؟

....

....

٣. اذكر المعجزة القرآنيّة الّتي نبّهت إليها سورة الإنشراح.

....

....

٤. هل الشهرة مذمومة مطلقاً؟

....

....

٥. ما الّذي تؤكّده آية ﴿مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾؟

....

....

للمطالعة

الأشدّ عبادة

عن سليمان بن معلّى بن خنيس، عن أبيه، قال: سأل أبو عبد الله عليه السلام عن رجلٍ وأنا عنده فقيل له: أصابته الحاجة.

قال: فما يصنع اليوم؟

قيل: في البيت، يعبد ربّه.

قال: فمن أين قوته؟

قيل: من عند بعض إخوانه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

"والله لَلَّذي يقوته أشدُّ عبادة منه"[١].

العقل

أثنى قوم بحضرة الرسول الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم على رجلٍ حتىّ ذكروا جميع خصال الخير.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"كيف عقل الرجل"؟

فقالوا: يا رسول الله! نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير تسألنا عن عقله؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّ الأحمق يُصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنّما يرتفع العباد غداً في الدرجات وينالون الزُّلفى من ربّهم على قدر عقولهم"[٢].

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٠٨.

(٢) مجمع البيان، ج٥، ص٥٣.

٩

الدرس التاسع

سورة القدر

الدرس التاسع

سورة القدر

أهداف الدرس:

- أن يحفظ الطالب سورة القدر المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ اللَّه الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّـا أَنزَلْنَـاهُ فِي لَيْلَـةِ الْقَدْرِ ❖ وَمَـا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ❖ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَـهْرٍ ❖ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ❖ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

شرح المفردات

١. **ليلة القدر**: هي ليلة يقدِّر الله فيها مصير البشر وتعيَّن فيها مقدَّراتهم

٢. **الروح**: مخلوق عظيم يفوق الملائكة[١].

محتوى السورة وفضيلتها:

محتوى السورة كما هو واضح من اسمها بيان نزول القرآن الكريم في ليلة القدر، وبيان أهمّيّة هذه الليلة وبركاتها.

ويكفي في فضيلة تلاوتها ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من قرأها أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر"[٢].

وعن الإمام محمّد بن عليّ الباقرّ عليهما السلام قال: "من قرأ إنّا أنزلناه بجهر كان كشاهر سيفه

(١) وقيل إنّه جبرائيل.

(٢) مجمع البيان، ج١٠، ص٥١٦.

في سبيل الله، ومن قرأها سرّاً كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله"[٣].

وواضح أنّ كلّ هذه الفضائل في التلاوة تزداد وتتأكّد لمن يقرأها ويفهمها ويعمل بها؛ أي من يقدّر القرآن حقّ قدره ويطبّق آياته في حياته.

في كنف السورة:

١. ليلة القدر والقدر:

في الإسلام العظيم اهتمام ببعض الأمكنة والأزمنة، فلقد جعل بعضها مباركاً لخصوصيّة فيها عن غيرها، فمثلاً بارك المسجد الحرام والكعبة المكرّمة والمسجد الأقصى، وبارك شهر رمضان وعظّم الأشهر الحرم (ذي القعدة، ذي الحجّة، رجب، محرّم) وبارك ليلة القدر الّتي أنزل فيها القرآن العظيم: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾ .

٢. وجه التسمية بليلة القدر:

أمّا بخصوص تسميتها بليلة القدر فقد قيل في ذلك الكثير ولكنّ أشهر الأقوال:

إنّها الليلة الّتي تعيّن فيها مقدّرات العباد لسنة كاملة، كما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ❖ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾[٤].

وقد ورد في بعض الروايات: في هذه الليلة تعيّن مقدّرات الناس لسنة كاملة، وهكذا أرزاقهم، ونهاية أعمارهم، وأمور أخرى تُفرق وتبيّن في هذه الليلة المباركة.

٣. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾:

يقول تعالى في سورة الدخان: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ❖ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ الليلة المباركة كما ذكر المفسّرون[٥] هي ليلة القدر، أنزل الله القرآن فيها إلى البيت المعمور[٦]

(٣) م.ن..

(٤) سورة الدخان، الآيتان: ٣ ـ ٤.

(٥) راجع: التفسير الأصفى، الفيض الكاشاني، ج ٢، ص ١١٥٠.

(٦) يقول الشيخ المفيد: جاء في الحديث أنّ الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سمّاه البيت المعمور تحجّه الملائكة في كلّ عام، وخلق

جملـة واحـدة، ثمّ نزل من البيت المعمور على رسول اللهﷺ في طول عشرين سنة[1]. وفي هذه الليلة يقدّر الله كلّ أمر من الحقّ والباطل وما يكون في تلك السنة، يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، من الآجال والأرزاق، والبلايـا والأعراض والأمراض. وعن حمران بـن أعين أنّه سأل أبا جعفر الباقرعليه السلام عن قـول الله عـزّ وجلّ ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ**﴾ قال عليه السلام: "نعم، ليلة القدر، وهي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلّا في ليلة القدر، قال الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّـا أَنزَلْنَـاهُ فِي لَيْلَـةِ الْقَدْرِ**﴾ قال عليه السلام: يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل، خير وشرّ وطاعة ومعصية ومولود وأجلٌ ورزق، فما قدّر في تلك السنة وقضي فهو المحتوم، ولله عزّ وجلّ المشيئة".

قـال حمران: قلـت: ﴿**لَيْلَـةُ الْقَدْرِ خَـيْرٌ مِّنْ أَلْـفِ شَـهْرٍ**﴾ أيّ شيء عنى بذلك؟ قـال عليه السلام: "العمل الصالـح فيها مـن الصلاة والزكاة وأنواع الخير، خيرٌ من العمل في ألـف شهر ليس فيها ليلة القدر، ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا، ولكنّ الله يُضاعف لهم الحسنات"[2].

٤. الله لم يقطع الصلة بخلقه (المدد الغيبي):

في سورة القدر تأكيد على أنّ الله تعالى لم يخلق الخلق ثمّ تركهم، بل هو يقدّر شؤونهم ويتابع أمورهم، ويرسـل الملائكة إلى الأرض لتدبير أحوالها ومن عليها، وهذا تسلية لقلوب المؤمنين، فليس الأمر كما قالت المفوِّضة، أو كما قالت اليهود: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَـاء...**﴾[3]، وهذا كناية عن كمال القدرة بحيث أنّ كلّ ما يحدث على وجه الأرض وفي العالم هو من إنفاقه سبحانه وكلّ وجود يحصل فإنّما هو من خزائنه.

في السماء الرابعة بيتاً سمّاه الضراح وتعبّد الملائكة بحجّه والتعظيم له والطواف حوله وخلق البيت الحرام في الأرض وجعله تحت الضراح. تصحيح اعتقادات الأمامية، ص ٧٨.

(١) راجع: الأمالي للصدوق، ص ١١٩، رواية عن الصادق عليه السلام.

(٢) الكافي، الكليني، ج ٤، ص ١٥٧.

(٣) سورة المائدة، الآية:٦٤.

والآيـات في الكتاب الكـريم كثيرة، وهي تؤكّـد أنّ الله عليم بخلقه، ومتابـعٌ لشؤونهم، يقول تعالى: ﴿اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[٤].

﴿أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٥].

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦].

إلى غير ذلك الكثير من الآيات الّتي تؤكّد أنّ الله مطّلع على شؤون خلقه، ولم يتركهم، وهذا ما يؤكّده الأمر بالدعاء: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٧].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي...﴾[٨].

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٩].

وورد في الحديث: "إذا دعوت فظنَّ حاجتك بالباب"[١٠].

وورد في دعـاء زيـن العابدين عليه السلام: "اللّهـمّ إنّي أجد سبل المطالب إليك مشرعـة، ومناهل الرجاء لديـك مترعة، والاستعانة بفضلك لمـن أمّلك مباحة، وأبواب الدعاء إليك للصارخين مفتوحة، وأعلم أنّك للراجين بموضع إجابة، وللملهوفين بمرصد إغاثة"[١١].

(٤) سورة البقرة، الآية:٢٣٥.

(٥) سورة البقرة، الآية:٧٧.

(٦) سورة الحجرات، الآية:١٦.

(٧) سورة غافر، الآية:٦٠.

(٨) سورة البقرة، الآية:١٨٦.

(٩) سورة النمل، الآية:٦٢.

(١٠) الكافي، باب اليقين في الدعاء، ج٢، ح١، ص٤٧٣.

(١١) دعـاء أبـي حمزة الثمالي (راجع: مفاتيـح الجنان: أعمال أسحار شهر رمضان) وللدعـاء شروطه وفلسفته، والحديث عن ذلك له مكانه.

خلاصة الدّرس

- بيّنت سورة القدر أهميّة هذه الليلة المباركة، ونزول القرآن فيها.
- اهتمّ الإسلام ببعض الأمكنة والأزمنة وجعل لها مكانة خاصّة وفضلاً عظيماً، ومنها ليلة القدر.
- لاسم ليلة القدر احتمالات تفسيريّة متعدّدة، أشهرها: أنّها الليلة التي تعيّن فيها مقدّرات العباد ولمدّة سنة.
- كان في هذه السورة المباركة تأكيد على أنّ الله تعالى متابع لشؤون خلقه وفي ذلك تسلية للمؤمنين.

أسئلة الدرس

١. نعرف أنّ القرآن نزل تدريجيّاً مدّة ٢٣ عاماً، فكيف توفّق بين ذلك ونزوله في ليلة واحدة هي ليلة القدر؟

....

....

٢. ما المراد بـ (الروح) في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾؟

....

....

٣. ما هو القول المشهور في وجه تسمية ليلة القدر؟

....

....

٤. كيف تصوّر عدم قطع علاقة الله تعالى مع البشر؟

....

....

للمطالعة

خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في فضل شهر رمضان وأعماله

روى الصدوق بسند معتبر عن الرضا عليه السلام عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبنا ذات يوم، فقال:

"أيّها الناس: إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيّامه أفضل الأيّام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دُعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فسلوا الله ربّكم بنيّات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفّقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإنّ الشقيّ من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم. واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه، جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدّقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقّروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضّوا عمّا لا يحلّ النظر إليه أبصاركم، وعمّا لا يحلّ الاستماع إليه أسماعكم، وتحنّنوا على أيتام الناس، يتحنّن على أيتامكم، وتوبوا إليه من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء، في أوقات صلواتكم، فإنّها أفضل الساعات، ينظر الله (عزَّ وجلّ) فيها بالرحمة إلى عباده، يجيبهم إذا ناجوه، ويلبّيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه..

أيّها الناس: إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم، ففكّوها باستغفاركم وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخفّفوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله تعالى ذكره، أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين، وأن لا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لربّ العالمين..

أيّها الناس: من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر، كان له بذلك عند الله عتق رقبة، ومغفرة لما مضى من ذنوبه، قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس كلّنا يقدر على ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة، اتّقوا النار ولو بشربة من ماء فإنّ الله يهب ذلك الأجر لمن عمل هذا اليسير، إذا لم يقدر على أكثر منه..

يا أيّها الناس: مَن حسّن منكم في هذا الشهر خلقه، كان له جواز على الصراط، يوم تزلّ فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه، خفّف الله عليه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه، كف الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه، وصله الله برحمته

يـوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه، قطع الله عنه رحمتـه يوم يلقاه، ومن تطوّع فيه بصلاة، كتب الله له بـراءة مـن النار، ومن أدّى فيه فرضـاً، كان له ثواب من أدّى سبعين فريضـة فيما سواه من الشهور، ومـن أكـثر فيه من الصلاة عليّ ثقّل الله ميزانه يوم تخفّ الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن، كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور..

أيّها الناس: إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة، فسلوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة، فسلوا ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة، فسلوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم.. ".

١٠

الدرس العاشر

سورة القارعة

الدرس العاشر

سورة القارعة

أهداف الدرس:

- أن يحفظ الطالب سورة القارعة المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ❖ مَا الْقَارِعَةُ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ❖ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ❖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ❖ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ❖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ❖ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾

شرح المفردات

١- القارعة: من القرع وهو الطرق الشديد مع إحداث صوت شديد.	٥- المنفوش: المنثور.
٢- الفراش: جمع فراشة وهي الحشرة المعروفة.	٦- موازين: جمع ميزان وهي وسيلة لوزن الأجسام.
٣- المبثوث: المتفرّق المنتشر.	٧- أمّه: مأواه وملجأه.
٤- العهن: الصوف المصبوغ.	٨- هاوية: جهنّم.

محتوى السورة وفضيلتها:

نزلت هذه السورة في مكّة المكرّمة.

وتتناول بشكل عامّ: المعاد، ومقدّماته، بتعابير حادّة، وبيان مؤثّر.

وإنذار صريح وواضح، حيث تصنّف الناس يوم القيامة، إلى صنفين أو جماعتين: جماعه تكون

أعمالها ثقيلة في ميزان العدل الإلهيّ فتحظى جزاءً بذلك، حياةً راضية سعيدة في جوار الرحمة الإلهيّة، وجماعة أعمالها خفيفة الوزن، فتعيش في نار جهنّم الحارّة المحرقة.

وقد اشتقّ اسم هذه السورة، أي "القارعة"، من الآية الأولى فيها.

وفي فضيلتها يكفي أن نقرأ الحديث الشريف المرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام: "من قرأ القارعة آمنه الله من فتنة الدجّال أن يؤمن به، ومن قيح جهنّم يوم القيامة إن شاء الله"[1].

في كنف السورة:

١- القرآن واليوم الآخر:

هذه السورة المباركة ككثير من سور القرآن تتحدّث عن مشاهد من يوم القيامة. ولو أجلت بصرك في القرآن العظيم لرأيت مدى اهتمامه بقضيّة اليوم الآخر.

فلقد كُرِّرت الأمور الّتي تتعلّق باليوم الآخر كثيراً، فمثلاً يوم القيامة كُرِّر تقريباً ٧٠ مرّة، اليوم الآخر ٢٦ مرّة، الآخرة والدار الآخرة ١١٧ مرّة، جنّة وجنّات ١٤١ مرّة، جهنّم ٧٧ مرّة، إلى غير ذلك.

ولقد اعتنى القرآن العظيم بمشاهد القيامة: البعث والحساب، النعيم والعذاب، حتّى عاد اليوم الآخر من خلال بلاغة القرآن مصوّراً حسيّاً، وحيّاً متحرّكاً، وبارزاً شاخصاً. وعاش المسلمون في هذا العالم عيشة كاملة: رأوا مشاهده، وتأثّروا بها، وخفقت قلوبهم واقشعرّت جلودهم وسرى في نفوسهم الفزع مرّة، وعاودهم الاطمئنان أخرى، ولفحهم من النار شواظ، ورفّ إليهم من النار نسيم، فأصبحوا والنار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون، وباتوا والجنّة كمن قد عاينها فهم فيها منعمّون.

وما اهتمام القرآن باليوم الآخر إلّا لما يحمله الإيمان باليوم الآخر من أهميّة لحياة الأمم والأفراد، حتّى أنّ القرآن الكريم قرن كثيراً بين الإيمان بالله واليوم الآخر، ممّا يشير إلى أنّ الإيمان بالله لا يكفي الإنسان (الفرد والأمّة) في كماله الروحيّ وسكينته النفسيّة وصلاحه الأخلاقيّ والسلوكيّ، ما لم يكن يقترن بالإيمان باليوم الآخر.

قال الله تعالى: **﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[2].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية:٢٣٢.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

إلى كثير من الآيات التي تقرن الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر.

٢. صور من الآخرة:

﴿الْقَارِعَةُ﴾: من أسماء القيامة لأنّها تقرع القلوب بأهوالها ، ومثلها الحاقّة والصاخّة والطامّة وما إليها.

﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾: استفهام أريد به تعظيم شأنها.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾: ما الّذي جعلك بها دارياً؟ فإنّها فوق التصوّر.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾: هذا بيان لبعض ما يحدث فيها لا لبيان حقيقتها، والفراش معلوم وهو الطير الصغير الّذي يترامى ليلاً على السراج ، والمبثوث المتفرّق المنتشر... وقد شبّه سبحانه حال الخلق يوم القيامة بحال الفراش في الجهل والحيرة وتساقط أكثرها في النار.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾: العهن الصوف ، ونفشه أن تفرّق شعراته بعضها عن بعض.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾: والمراد به من طابت سريرته وصلح عمله

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: أي يرضاها ويهنأ بها.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾: والمراد به من خبثت سريرته وساء عمله. ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾: المراد بأمّه هنا ما يأويه ويحضنه، وبالهاوية جهنّم لأنّ المجرم يهوي بها، وقد بيّنها سبحانه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ❖ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾: هذا كلّ ما يمكن أن تعرفه عن جهنّم، أمّا إدراك حقيقتها فتعجز عنه الأفهام لأنّ قعرها بعيد، وعذابها شديد.

٣. الهاوية:

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: "بينا عيسى بن مريم عليهما السلام في سياحته إذ مرّ بقرية، فوجد أهلها موتى في الطريق والدور، فقال: إنّ هؤلاء ماتوا بسخطة، ولو ماتوا بغيرها تدافنوا، قال: فقال أصحابه: وددنا أنّا عرفنا قصّتهم، فقيل له: نادهم يا روح الله، قال، فقال:

يا أهل القرية. فأجابهم مجيب منهم: لبيك يا روح الله، قال: ما حالكم وما قصّتكم؟ قال: أصبحنا

(١) سورة آل عمران، الآية:١١٤.

في عافية، وبتنا في الهاوية، قال: فقال: وما الهاوية؟ قال: بحار من نار فيها جبال من نار، قال: وما بلغ بكم ما أرى؟ قال: حبّ الدنيا وعبادة الطواغيت. قال: وما بلغ من حبّكم الدنيا؟ قال: كحبّ الصبيّ لأمّه، إذا أقبلت فرح، وإذا أدبرت حزن.

قال: وما بلغ من عبادتكم الطواغيت؟ قال: كانوا إذا أمرونا أطعناهم. قال: فكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: لأنّهم ملجمون بلجم من نار، عليهم ملائكة غلاظ شداد، وإنّي كنت فيهم ولم أكن منهم، فلمّا أصابهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلّق بشجرة أخاف أن أكبكب في النار، قال: فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: النوم على المزابل، وأكل خبز الشعير، خير مع سلامة الدين"[٢].

٤. الثواب والعقاب:

ورد الكثير من الآيات في القرآن الكريم الّتي تتحدّث حول الثواب والعقاب في اليوم الآخر، ومنها:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ❖ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ❖ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ❖ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

ولكن هنا ملاحظة:

صحيح أنّ الإيمان بالآخرة وبالتالي الثواب والعقاب فيها مهمٌّ وأساس ولكن إذا لم تتبعه أمور تعطِّل فعّاليّة هذا الإيمان.

فمثلاً المسيحيّة تؤمن بالثواب والعقاب، إلّا أنّه دخلت أمور عطّلت هذا القانون الإلهيّ العادل.

من هذه الأمور مسألة "صلب المسيح" وأنّه صُلب ليفدي النّاس من الخطيئة، أو مسألة "الاعتراف عند الكاهن" بحيث إذا اعترف المذنب تُغفر ذنوبه، أو مسألة "المسح الأخير" حيث يستمع القسّ إلى اعترافات المسيحيّ وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويمنحه المغفرة الّتي تُنجيه من النار، ويمسحه حتّى يطهر من الخطيئة ويصبح مستعدّاً للبعث أمام الحَكَم العدل، إلى غير ذلك من المسائل.

هذه المسائل تعطِّل قانون الثواب والعقاب، وتشجِّع الناس على الخطيئة، وهذا ما نراه في المجتمع المسيحيّ. أمّا الإسلام فليس عنده هذه الأمور ولا يؤمن بها. نعم، عنده التوبة والغفران من الله والشفاعة، ولكنّ هذه لا تشبه تلك وإن كان هناك أناس يفهمونها خطأً، حيث يدخل الشيطان بتزييناته مع هوى النفس فيسوّف للإنسان بالتوبة إلى آخر العمر، مع أنّ التوبة في آخر العمر وعند

---

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٠، ص١٠٢.

تراكم الذنوب أمر صعب.

وحيث يمنّي الإنسان نفسه بشفاعة الشافعين في حين أنّه لم يعرف حقيقة الشفاعة.

ألا تعرف أنّه قد لا تشملك شفاعتهم عليهم السلام لأنّ الانغمار في المعاصي يجعل القلب بالتدريج مظلماً ومنكوساً وربّما يصل الإنسان إلى الكفر، والكافر لا يُشفع له؟

ثمّ ألا تعلم أنّه إذا كانت أثقال الذنوب كثيرة يمكن ألّا يشفع الشافعون لك في البرزخ والقبر، ويمكن أن لا تصل شفاعتهم في يوم القيامة إلّا بعد مدّة طويلة، كما ورد في بعض الأحاديث؟

فلا تستمع للشيطان ونفسِك الأمّارة حيث يعدانك بالرحمة الواسعة والمغفرة الكريمة لأرحم الراحمين، فتتهاون وتنزلق في المعاصي، في حين أنّ الله رحيم في موضع الرحمة وشديد العقاب في موضع الشدّة، فليس صحيحاً أن ترجو رحمة الله فحسب دون أن تخافه وتخشى عقابه، ونحن نقرأ في دعاء الافتتاح:

"وأيقنت أنّك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشدّ المعاقبين في موضع النكال والنِقمة".

فإذاً ينبغي فهم مسألة التوبة وغفران الله ورحمته والشفاعة والاستغفار فهماً صحيحاً، وإلّا كانت الآخرة والثواب والعقاب لا أثر لها.

خلاصة الدرس

- تتناول هذه السورة موضوع المعاد وتصنّف الناس جماعتين واحدة في جوار الرحمة الإلهيّة وأخرى في نار حامية.
- اهتمّ القرآن ببيان أحوال يوم القيامة حتّى أمسى قالباً حسيّاً، يتمثّل للمؤمنين في جميع تقلّباتهم ومعائشهم.
- إنّ إدراك حقيقة جهنّم تعجز عنه الأفهام لأنّ قعرها بعيد وعذابها شديد..
- إنّ الثواب والعقاب قانون إلهيّ يجزى به العامل في هذه الدنيا إلّا أنّ بعض الأفكار الخاطئة حول هذا القانون عطّلت مفاعيله لدى بعض الناس ما حدا بهم إلى ارتكاب الذنوب.

أسئلة الدرس

١. ماذا تتناول هذه السورة بشكل عامّ؟

....

....

٢. تصنّف هذه السورة الناس يوم القيامة إلى صنفين تحدث عنهما.

....

....

٣. هل القارعة اسم للقيامة أو لمقدّماتها؟

....

....

٤. هل هناك ما يعطّل فعّاليّة الإيمان بالآخرة في الإسلام؟

....

....

للمطالعة

نقطة هامّة

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

علـى سالـك طريق الهداية والنجـاة الانتباه إلى نقطة هامّـة، هي أنَّ التوفيـق إلى التوبة الصحيحة الكاملة مع توفير شرائطها من الأمور الصعبة، وقليلاً ما يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذا المقصد. بـل إنّ اقتراف الذنوب وخاصّـة المعاصي الكبيرة يجعل الإنسان غافلاً عن ذكر التوبة نهائيّاً. وإذا ما أثمـرت وقويت شجرة المعاصي في مزرعة قلب الإنسان وتحكّمـت جذورها، ستكون لها نتائج وخيمة: منها حثّ الإنسان على الانصراف كلّياً عن التفكير في التوبة، وإذا تذكّرها أحياناً تكاسل في إجرائها وأجّلها وقال: "اليوم أو غداً وهذا الشهر أو الشهر المقبل".

ويخاطب نفسه قائلاً: إنّني أتوب آخر العمر وأيّام الشيخوخة توبة صحيحة، وإنّه يغفل عن أنّ هذا مكر مع الله ﴿**وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ لا يتوقّع الإنسان أنّه بعد أن تقوى جذور الذنوب في نفسه، يستطيع أن يتـوب أو يقـوم بتوفير شروط التوبة. إنّ أفضل أيّام التوبة وربيعها هي فترة أيّام الشباب. لأنّ الذنوب أقـلّ وشوائب القلب وظلمات الباطل أخفّ، وشروط التوبة أسهل وأيسر. وقد يكثر في سنّ الشيخوخة حرص الإنسان وطمعه وحبّه للمال ويزداد طول أمله وقد أثبتت التجربة ذلك.
والحديث النبويّ الشريف[1] أفضل شاهد على هذه المقولة.

وإذا افترضنـا أنّ الإنسـان يستطيع القيام بهذا العمل (التوبة) في سـنّ الشيخوخة. فما هو الضمان للوصـول إلى سـنّ الشيخوخة وعدم إدراكـه الأجل المحتوم أيّام الشباب على حـين غرّة، وهو مشغول بالذنوب والعصيان؟ إنّ انخفاض عدد المسنّين دليل على أنّ الموت أقرب إلى الشباب منه إلى الشيخ. إنّنا في المدينة الّتي تحتوي على خمسين ألف نسمة لم نجد خمسين شيخاً يناهز عمر كلّ منهم ثمانين عاماً.

فيـا أيّها العزيز كـن على حذر من مكائد الشيطان ولا تمكر علـى الله ولا تحتل عليه بأن تقول أعيش

(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يهرم بني آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل»، الخصال، ج١، ص٧٣.

خمسين عاماً أو أكثر مع الأهواء، ثمّ أستغفر ربّي لدى الموت وأستدرك الماضي، لأنّ هذه أفكار واهية.

إذا سمعت أو علمت من الحديث الشريف أنّ الله سبحانه وتعالى قد تفضّل على هذه الأمة بتقبّل توبتهم قبل مشاهدة آثار الموت أو عند الموت وذلك صحيح[٢]. ولكن هيهات أن تتحقّق التوبة من الإنسان في ذلك الوقت.

هل تظنّ أنّ التوبة مجرّد كلام يقال؟ إنّ القيام بالتوبة لعمل شاقّ. إنّ الرجوع إلى الله والعزم على عدم العودة إلى الذنب يحتاج إلى رياضة علميّة وعمليّة، إذ نادراً ما يحدث للإنسان أن يفكّر وحده بالتوبة أو يوفّق إليها أو يوفّق إلى توفير شرائط صحّة التوبة وقبولها أو إلى توفير شرائط كمالها. إذ من الممكن أن يدركه الموت قبل التفكير في التوبة أو إنجازها وينقله من هذه النشأة مع المعاصي التي تنوء بالإنسان ومع ظلمات الذنوب اللامتناهية، وفي ذلك الوقت يعلم الله وحده المصائب والمحن الّتي سوف يواجهها.

ليس من السهل أن يَجبر الإنسان في العالم الآخر معاصيه، إذا كان من أهل النجاة وممّن عاقبة أمره سعيدة، إذ لا بدّ من متاعب وضغوطات ونيرانٍ حتى يصبح الإنسان أهلاً لرحمة أرحم الراحمين.
إذاً، أيّها العزيز! عجّل في شدِّ حيازيمك، وإحكام عزيمتك وقوّتك الحاسمة، وأنت في أيّام الشباب أو على قيد الحياة في هذه الدنيا وتب إلى الله، ولا تسمح لهذه الفرصة الّتي أنعم الله بها عليك أن تخرج من يدك ولا تعبأ بتسويف الشيطان ومكائد النفس الأمّارة.

---

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته ثمّ قال: إنّ السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثمّ قال: إنّ الشهر لكثير. من تاب قبل موته بجمعة، قبل الله توبته. ثمّ قال: إنّ الجمعة لكثير. من تاب قبل موته بيوم، قبل الله توبته. ثمّ قال: إنّ اليوم لكثير، من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته» (أصول الكافي، ج٢، ص٤٤).

١١

الدرس الحادي عشر

سورة التكاثر

الدرس الحادي عشر

سورة التكاثر

أهداف الدرس:

- أن يحفظ الطالب سورة التكاثر المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ❖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ❖ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ❖ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ❖ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ❖ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ❖ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

شرح المفردات

١ - ألهاكم: الإلهاء الصرف إلى اللهو، واللهو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى.	٣ - اليقين: العلم الخالي من الشك.
٢ - التكاثر: التفاخر والمباهاة.	٤ - عين اليقين: محض اليقين، بحيث يرى بأمّ العين ما لا يخالطه شكّ.

محتوى السورة وفضيلتها:

هذه السورة تتناول في مجموعها تفاخر الأفراد على بعضهم بعضاً، استناداً إلى مسائل موهومة وتذمّ ذلك وتلومهم عليه ثمّ تحذّرهم من حساب المعاد وعذاب جهنّم وممّا سيسألون عنه يوم ذاك من النعم الّتي منَّ اللّه بها عليهم. وقد اشتقّ اسم السورة من الآية الأولى فيها.

وفي فضيلة تلاوتها ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من قرأها لم يحاسبه اللّه بالنعيم الّذي أنعم عليه في دار الدنيا وأُعطيَ من الأجر كأنّما قرأ ألف آية"[1].

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٢.

في كنف السورة:

هذه السورة المباركة فيها مواعظ جليلة تستأهل منّا التوقّف عندها والتأمّل فيها:

١. الإنسان وغفلته عمّا بعد الدُّنيا (الإنسان اللاهي والمكاثر):

لقد ورد الكثير من الآيات في القرآن الكريم تشير إلى أنّ كثيراً من الناس يعيشون الغفلة عن الآخرة ويستغرقون في الدنيا وغرورها، بحيث يذوبون فيها، فلا ينظرون إلّا إليها، فتعمِهم عن الحقيقة الّتي تُفيد أنّ الدنيا ليست نهاية المطاف، إنّما هي قنطرة يعبرها الإنسان إلى عالم آخر.

ومن الآيات المعبِّرة التي تشير إلى هذه الحقيقة:

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[٢].

هذه الآية الكريمة تؤكِّد حقيقة غفلة الإنسان عبر مراحل عمره الخمس:

حيث في البداية مرحلة الطفولة، والحياة في هذه المرحلة عادة مقترنة بحالة من الغفلة والجهل واللعب.

ثمّ مرحلة المراهقة حيث يأخذ اللهو مكان اللعب، وفي هذه المرحلة يكون الإنسان لاهثاً وراء الوسائل والأمور الّتي تلهيه وتبعده عن الأعمال الجدّية.

والمرحلة الثالثة هي مرحلة الشباب والحيويّة والحبّ والعشق والزينة.

وإذا ما تجاوز الإنسان هذه المرحلة فإنّه يصل إلى المرحلة الرابعة حيث تنبعث في نفسه إحساسات علوّ المقام والتفاخر.

وأخيراً يصل إلى المرحلة الخامسة حيث يفكّر فيها بزيادة المال والأولاد وما إلى ذلك.

فنرى أنّ الإنسان غالباً، إلّا من رحم الله، يعيش الغفلة في مراحل عمره كلّها، ولا يترك لله تعالى، ولمعرفة حقائق الوجود، وللتفكير بالمصير النهائيّ للوجود، أيّ مجالٍ وأيّ فسحة.

والآية الّتي نحن بصدد تفسيرها تتّجه لهذا المعنى:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ❁ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾

وهي تشير أكثر ما تشير إلى المرحلة الخامسة من عمر الإنسان حيث يُلهيه جمع الأموال والأولاد والتفاخر بالأنساب والأقوام. ولقد عُرف عن العرب أنّهم كانوا يتفاخرون بالأموال والأنساب،

(٢) سورة الحديد، الآية:٢٠.

ويؤسّسون حياتهم على أسس قبليّة. وهذه الآية كأمثالها تريد أن تُخرج من النفوس هذه العصبيّة القبليّة، والتفاخر بها وبالحطام.

وهنا لفتة مهمّة من الآية الكريمة، تشير إلى أنّ الإنسان يستيقظ من غفلته إمّا حين موته:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۞ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۞ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[١].

وإمّا حين زيارته للمقابر حيث يتذكّر أنّه سيموت يوماً ما، فيستيقظ من غفلته شيئاً ما، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اذكروا هادم اللذّات" أي الموت.

وللإمام عليّ عليه السلام كلام بعد أن تلا: **﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾**، قال: "يا له مراماً[٢] ما أبعده، وزوراً ما أغفله، وخطراً ما أفظعه، لقد استخلوا منهم أيّ مدّكر وتناوشوهم من مكان بعيد، أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خَوَت[٣]، وحركات سَكنت، ولأن يكونوا عِبَراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً"[٤].

فالموت خير واعظ لمن يتّعظ، ومن هنا ورد استحباب زيارة القبور، عسى أن يقوم الإنسان من سكرة الغفلة، غفلة الدنيا والاستكثار بالأموال والأولاد، والتفاخر بالأحساب والأنساب.

٢. إشارة إلى عذاب القبر:

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

ورد العديد من الآيات القرآنيّة الكريمة الّتي تشير إلى أنّ الإنسان لا يصبح عدماً بعد موته، بل له حياة أخرى بعد الموت، إنّها حياة البرزخ، ومن هذه الآيات:

---

(١) سورة ق، الآيات: ١٩ ـ ٢٢.

(٢) المرام: الطلب، والزَور: بالفتح الزائرون وهم يرومون نيل الشرف ممّن تقدّمهم وتلك غفلة.

(٣) أي خلت من أرواحها.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢١

﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ❖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٥].

٣. مراتب اليقين:

من الواضح أنّ المؤمنين ليسوا على درجة واحدة من الإيمان بل بعضهم لا يُطلق عليهم إلّا الإسلام وما آمنت قلوبهم:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾[٦].

ولذلك ورد العديد من الروايات الّتي تُشير إلى هذه الحقيقة، فقد جعل الإمام الكاظم عليه السلام الإيمان أعلى من الإسلام درجة، والتقوى أعلى من الإيمان درجة، واليقين أعلى من التقوى درجة، ثمّ قال: "وما قسم في الناس شيء أقلّ من اليقين"[٧].

ورغم ما يُستفاد من الروايات أنّ اليقين هو أعلى مراحل الإيمان، فإنّ له مراتب، وهي ثلاث:

أ. علم اليقين: وهو الّذي يحصل للإنسان عند مشاهدته الدلائل المختلفة، كأن يُشاهد دخاناً فيعلم علم اليقين أنّ هناك ناراً.

ب. عين اليقين: وهو يحصل حين يصل الإنسان إلى درجة المشاهدة كأن يرى بعينه مثلاً النار.

ج. حقّ اليقين: **﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾**[٨]: وهو كأن يدخل الإنسان النار بنفسه ويحسّ بحرقتها، وهذه أعلى مراحل اليقين.

٤. السؤال عن النعيم:

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٩].

قيل إنّ النعيم المسؤول عنه، هو نعمة السلامة، وفراغ البال، والأمن.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٦) راجع: تفسير الفخر الرازي، ج٣٢، ص٧٨.

(٧) سورة الحجرات، الآية:١٤.

(٨) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٥١.

(٩) سورة الواقعة، الآية:٩٥.

وروي أنّ أبا حنيفة سأل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية فقال عليه السلام: "ما النعيم عندك يا نعمان؟".

قال: القوت من الطعام والماء البارد.

فقال عليه السلام: "لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتّى يسألك عن كلّ أكلة أكلتها وشربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه، قال: فما النعيم جعلت فداك؟

قال: نحن أهل البيت النعيم الّذي أنعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين وبنا ألّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءاً وبنا هداهم الله للإسلام وهي النعمة الّتي لا تنقطع، والله سائلهم عن حقّ النعيم الّذي أنعم الله به عليهم وهو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعترتُه"[1].

من كلّ هذه الروايات الّتي يبدو أنّها مختلفة في ظاهرها نفهم أنّ النعيم له معنى واسع جدّاً يشمل كلّ المواهب الإلهيّة المعنويّة مثل: الدِّين والإيمان والإسلام والقرآن والولاية لأهل البيت عليهم السلام، وأنواع النعم الماديّة الفرديّة منها والجماعيّة، والتي سنُسأل عنها وكيف تعاملنا معها وهل أرضينا الله بها؟ يقول تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[2].

خلاصة الدرس

في هذه السورة المباركة مواعظُ جليلة، منها:

- أنّ الدنيا ليست سوى قنطرة تعبر بنا إلى عالم آخر، ومع ذلك فإنّ أغلب بني البشر يغفلون عن هذه الحقيقة إلا إن ماتوا أو زاروا المقابر.
- لليقين وهو أعلى مراحل الإيمان مراتب، وهي: علم اليقين، عين اليقين، حقّ اليقين.
- سيسألنا الله تعالى عن نعمه ومواهبه الّتي أنعمها علينا سواء على عيد الفرد أو الجماعة كيف تعاملنا معها، وهل أرضينا الله بها ولا شكّ أنّ من أعظم النعم علينا والّتي سنسأل عنها: أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) سورة التكاثر، الآية:١٣,٨- مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٥.

(٢) سورة الصافات، الآية:٢٤.

أسئلة الدرس

١. ما هو التهديد الإلهيّ الّذي تحتوي عليه السورة؟

....

....

٢. ما هي المراحل الخمسة؟ وكيف يغفل الإنسان فيها؟

....

....

٣. كيف يستيقظ الإنسان من غفلته؟

....

....

٤. ما هي الآية التي تشير إلى عذاب القبر؟

....

....

٥. اذكر مراتب اليقين.

....

....

للمطالعة

الاستعاذة

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾(١).

من الآداب المهمّة للقراءة وخصوصاً القراءة في الصلاة الّتي هي السفر الروحانيّ إلى الله والمعراج الحقيقيّ ومرقاة وصول أهل الله، الاستعاذة من الشيطان الرجيم الّذي هو شوكة طريق المعرفة ومانع السير والسلوك إلى الله، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن قوله في السورة المباركة الأعراف حيث قال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٢) ولا يحصل الأمان من شرّه من دون الاستعاذة بحصن الألوهيّة الحصين، ولا تتحقّق هذه الاستعاذة بلقلقة اللّسان، والصورة بلا روح، والدنيا بلا آخرة، كما هو مشهود في أشخاص قالوا بهذا القول منذ أربعين أو خمسين سنة وما نجوا من شرّ هذا القاطع للطريق ويتبعون الشيطان في الأخلاق والأعمال بل في العقائد القلبيّة. ولو كنّا مستعيذين من شرّ هذا الخبيث بالذّات المقدّسة للحقّ تعالى وهو الفيّاض المطلق وصاحب الرحمة الواسعة والقدرة الكاملة والعلم المحيط لأعاذنا الله ولصلح إيماننا وأخلاقنا وأعمالنا.

الإخلاص طريق الاستعاذة

فمن مهمّات آداب الاستعاذة الخلوص كما نقله سبحانه عن الشيطان أنّه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(٣)، وهذا الإخلاص كما يظهر من الكريمة الشريفة أعلى من الإخلاص العمليّ وأعمّ من العمل الجوانحيّ أو العمل الجوارحيّ، لأنّ المُخلَص بصيغة المفعول، ولو كان المنظور هو الإخلاص العمليّ لكان التعبير بصيغة الفاعل المُخلِص. فالمقصود من هذا الإخلاص هو خلوص الهويّة الإنسانيّة بجميع شؤونها الغيبيّة والظاهريّة والإخلاص العمليّ من رشحاته، وهذه الحقيقة واللّطيفة الإلهيّة وإن كانت لا تحصل للعامّة في ابتداء السّلوك إلّا بالرّياضات العمليّة الشّديدة وخصوصاً الرّياضات القلبيّة الّتي هي أصلها كما أشير إليه في الحديث المشهور: "من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه"

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦.

(٣) سورة ص، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣.

فمـن أخلص أربعـين صباحاً. بمقدار تخمير طينة آدم عليه السلام، وكان أربعـين صباحاً، والرّبط بينهما معلـوم عند أهـل المعرفة وأصحاب القلوب. نفسـه لله وأخلص أعماله القلبيّـة والقالبيّة للحقّ تعالى يكون قلبه إلهيّاً ولا ينفجر من القلب الإلهيّ سوى عيون الحكمة، فيكون لسانه الّذي هو أكبر ترجمان للقلب ناطقاً بالحكمة.

١٢

الدرس الثاني عشر

سورة العصر

الدرس الثاني عشر

سورة العصر

أهداف الدرس:

- أن يحفظ الطالب سورة العصر المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ❖ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ❖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾

شرح المفردات:

١- العصـر: هو الطرف الأخير من النهار أو هو الزمان.	٣- الحـقّ: مـا أرشد إليـه دليل قاطـع أو عيان ومشاهدة.
٢- خُسر: خيبة	

محتوى السورة وفضيلتها:

بلغـت شموليّة هذه السورة درجة حَدَت ببعض المفسرين إلى أن يرى فيها خلاصة كلّ مفاهيم القرآن وأهدافهن وبعبارة أخرى: هذه السورة رغم قصرها تُقدّم المنهج الجامع والكامل لسعادة الإنسان.

تبـدأ السورة من قَسَمٍ عميق المحتـوى بالعصر-وسيأتي تفسيره-، ثمّ تتحدّث عـن خُسران كلّ أبناء البشر باستثناء مجموعة واحدة ذات منهج له أربعة أصول: الإيمان، والعمل الصالح والتواصي بالحقّ والتواصي بالصبر. وهذه الأصول الأربعة هي في الواقع المنهج العقائديّ والعمليّ الفرديّ والاجتماعيّ للإسلام.

في فضيلة هذه السورة ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: "من قرأ سورة **﴿وَالْعَصْرِ﴾** في نوافله بعثه

الله يوم القيامة مشرقاً وجهه ضاحكاً سنّه، قريرة عينه حتّى يدخل الجنّة"[1].

وواضـح أنّ كلّ هذه الفضيلـة وهذه البشرى نصيب من طبّق الأصول الأربعة المذكورة في حياته، لا أن يقنع فقط بقراءتها.

في كنف السورة:

١. العصر وأهميَّة الزمن:

العصـر في الأصـل الضغط، وإنّما أطلـق على وقت معيّن مـن النهار لأنّ الأعمال فيـه مضغوطة، ثمّ أطلقـت الكلمة على مطلـق الزمان ومراحل تاريـخ البشريّة، أو مقطع زمنيّ معـيّن، كأن نقول عصر الجاهليّة أو عصر الإسلام. ولذلك ذكر المفسّرون في معنى العصر احتمالات كثيرة، نذكر منها:

١- قيل: إنّه وقت العصر من النهار.

٢- إنّه كلّ الزمان وتاريخ البشريّة المملوء بالدروس والعبر.

٣- إنّه مقطع خاص من الزمن مثل عصر البعثة النبويّة المباركة، أو عصر قيام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

ومهما يكن من شيء، فإنّ الله سبحانه وتعالى يقسم كثيراً بالزمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾. في سورة الضحى، الآية: ٢.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ**﴾. في سورة المدّثّر، الآية: ٣٤.

وما تلك الأقسام بالزمان إلّا للإشارة إلى أهميَّة الزمان والعُمر في حياة الإنسان، فعليه أن يعرف جيّداً كيف يستغلّ عمره في الانتفاع لدنياه وآخرته، ولا يقتله في مضرّة دنياه وآخرته. وإذا تطلّع الإنسان إلى الزمان الّذي يعيشه لرآه قصيراً جدّاً، إلّا أنّ غفلة الإنسان عن الآخرة، توهمه أنّه سيعيش إلى الأبد. لـو عرف الإنسان كيف تتبـدّل خلايا جسده، وكيف يستهلك كلّ يـوم آلاف الخلايا من مخّه، دون أن يستعيضـ عنهـا شيئاً، وكيف يتسـارع ما حوله من أشياء في سبيل الفناء، لـو عرف الإنسان أنّ عمره بالقياس إلى عمر الأرض الّتي يعيش عليها اليوم يكاد لا يكون شيئاً مذكوراً، ولو عرف أنّ العمر الّذي فـات لا يعـود، فما فات فات، واليوم الّذي أنت فيه سيفوت، ولو عرف أنّه مسؤول عن هذا العمر الّذي سيعيشه: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾[2].

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٥.

(٢) سورة الصافات، الآية:٢٤.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن حبّنا أهل البيت"[1]، لو عرف كلّ ذلك، لاستغلّ كلّ ثانية بل كلّ جزء ثانية في رضا الله تعالى، ولما خسر عمره.

٢. ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾:

هذا جواب القسم.

والمعنى: إنّه لفي نقصان ، لأنّ عمره ينقص كلّ يوم، وهو رأس ماله، فإذا ذهب رأس ماله، ولم يكتسب به الطاعة، يكون على نقصان طول دهره وخسران، إذ لا خسران أعظم من استحقاق العقاب الدائم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: استثنى من جملة الناس المؤمنين المصدّقين بتوحيد الله ، العاملين بطاعة الله.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ : أي وصّى بعضهم بعضاً باتباع الحقّ، واجتناب الباطل.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: أي وصى بعضهم بعضاً بالصبر على تحمّل المشاقّ في طاعة الله، وبالصبر عن معاصي الله، وبالصبر على امتحان الله وبلاءه.

إنّ أعظم ما في الإنسان، وأهمّ ما أنعم الله به على الإنسان هو أنّه تعالى أعطاه القدرة الكافية الوافية على أن يكون ملاكاً أو شيطاناً، رابحاً أو خاسراً، وأنّه، جلّت حكمته، جعل الحريّة له وحده في أن يختار لنفسه ما يشاء من الشقاء والخسران، والربح والسعادة، وأنّ الله يعامله بما يختاره لنفسه ربحاً أو خسراناً بعد أن هداه النجدين.. وأيّ فضل أعظم من هذا الفضل، وعدل أعظم من هذا العدل؟

والخلاصة أنّ إيمان هؤلاء وتواصيهم بالحقّ والصبر ينتج عنه خروجهم من دائرة الخسران التي تحيط بالأعمّ الأغلب من بني الإنسان، ثمّ هم بعد ذلك في أعظم ربح وزيادة، يربحون الثواب باكتساب الطاعات، وإنفاق العمر فيها، فكأنّ رأس مالهم باق، كما أنّ التاجر إذا خرج رأس المال من يده، وربح عليه، لم يعد ذلك ذهاباً.

وفي هذه السورة أعظم دلالة على إعجاز القرآن. ألا ترى أنّها مع قلّة حروفها، تدلّ على جميع ما يحتاج الناس إليه في الدين، علماً وعملا. وفي وجوب التواصي بالحقّ والصبر إشارة إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى التوحيد والعدل، وأداء الواجبات، والاجتناب عن القبائح.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧، ص٢٥٨.

٢. حتّى لا تكون من الخاسرين:

إنّ السعـادة الأخرويّـة (والدنيويّة طبعاً) هـي في الإيمان بالله وبأنبيائه ورسـول الله ﷺ وتعاليمه واليوم الآخر والثواب والعقاب، ليس الإيمان فحسب، بل العمل الصالح أيضاً.

لذلك يقول تعالى في سورة أخرى:

﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ❖ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**﴾[٢].

جاء في تفسير مجمع البيان وتفاسير أخرى، أنّ المسلمين وأهل الكتاب كانوا يتفاخرون بعضهم على بعض، فكان أهل الكتاب يتباهون بكون نبيّهم قد بعث قبل نبيّ الإسلام وأنّ كتابهم أسبق من كتاب المسلمين، بينما كان المسلمون يفتخرون على أهل الكتاب بأنّ نبيّهم هو خاتم الأنبياء ﷺ، وأنّ كتابه هو آخر الكتب السماويّة وأكملَها.

وفي رواية أخرى:

أنّ اليهود كانوا يدّعون أنّهم هم شعب الله المختار، وأنّ نار جهنّم لا تمسّهم إلّا أياماً معدودة كما ورد في سورة البقرة، الآية: ٨٠: ﴿**وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً...**﴾.

وأنّ المسلمين كانوا يقولون، ردّاً على اليهود، أنّهم هم خير الأمم، لأنّ الله قال في شأنهم: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ...**﴾[٣].

ولذلك نزلت الآيتان ١٢٣ و ١٢٤ من سورة النساء، ودحضت كلّ تلك الدّعاوى وحدّدت قيمة كلّ شخص بما يقوم به.

فليست قيمتك أيّها المسلم في أنّك تنتمي إلى الإسلام على المستوى الإسميّ فحسب، إنّما قيمتك عند الله فيما تعمل في هذه الحياة وتلتزم وتطبّق من هذا الإسلام العزيز.

---

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية:١١٠.

خلاصة الدرس

- اعتبر بعض المفسّرين أنّ هذه السورة المباركة فيها خلاصة كلّ مفاهيم القرآن وأهدافه إذ تقدّم منهج السعادة الكامل للإنسان.
- على الإنسان أن يستغلّ عمره فيما ينفع في الدنيا والآخرة.
- إنّ طول الأمل مرتبط بالخسران للعمر الناتج عن التقصير في العمل.
- حتّــى لا نكون من الخاسرين: لا بدّ من الإيمان المقترن بالعمل الصالح، وأن نوصي بعضنا بالحقّ والصبر.

أسئلة الدرس

١. اذكر حديثاً حول فضل هذه السورة.

....

....

٢. كيف تتصوَّر أهميّة الزمن؟

....

....

٣. اذكر حديثاً يشير إلى خطورة طول الأمل.

....

....

٤. ما هو علاج طول الأمل؟

....

....

للمطالعة

وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام[1]

كان في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام أن قال: "يا عليّ أوصيك في نفسك بخصالٍ فاحفظها عنّي".

ثمَّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: "اللهمّ أعِنه".

أمّا الأولى: فالصدق ولا يخرجنَّ من فيك كذبة أبداً.

والثانية: الورع ولا تجترئ على خيانةٍ أبداً.

والثالثة: الخوف من الله عزَّ ذكره كأنّك تراه.

والرابعة: كثرة البكاء من خشية الله تعالى، يُبنى لك بكلّ دمعة ألف بيت في الجنّة.

والخامسة: بَذْلَك مالك ودمك دون دينك.

والسادسة: الأخذ بسنّتي في صلاتي وصومي وصدقتي.

"أمّا الصلاة فالخمسون ركعة وأمّا الصيام فثلاثة أيّام في الشهر الخميس في أوّله والأربعاء في وسطه والخميس في آخره، وأمّا الصدقة فجهدك حتّى تقول قد أسرفت ولم تسرف، وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال، وعليك بتلاوة القرآن على كلّ حالٍ، وعليك برفع يديك في صلاتك وتقليبهما. وعليك بالسواك عند كلّ وضوء وعليك بمحاسن الأخلاق فارتكبها ومساوئ الأخلاق فاجتنبها فإن لم تفعل فلا تلومَنَّ إلا نفسك".

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في معرض شرحه لهذه الوصيّة المحمّديّة:

يتّضح من نواحٍ عديدة من هذا الحديث الشريف أنّ هذه الوصايا الّتي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كانت عنده صلوات الله وسلامه مهمّة جدّاً، وهذه النواحي هي:

<u>إحداها</u>: توجيه الوصيّة نحو أمير المؤمنين عليه السلام مع أنّه سلام الله عليه أسمى من أن يتساهل في الأحكام الشرعيّة والأوامر الإلهيّة ولكنّ هذه الأمور لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت هامّة جدّاً فلم يُحجم عن الوصيّة بها.

ومن المتعارف أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يوصي بشيء إلّا وقد كان يعتني به ويراه مهمّاً. فلأجل اظهار أهميّته يوصي به حتّى لمن يعرف أنّه لا يتهاون به.

---

(١) روضة الكافي، ص٧٩، الحديث٣٣.

أمّــا احتمــال أنّه صلى الله عليه وآله قــد أوصى لأمــير المؤمنين عليه السلام حتّى يُفهــم الآخرين من قبيــل "إيّاك أعِني واسمعي يا جارة" فهو بعيد لأنّ سياق الحديث يشهد بأنّ الخطاب متوجّه نحو الإمام عليّ عليه السلام وأنّه المقصود مباشرة كما يستفاد من كلمة "في نفسك" و"إحفظها" و "اللّهمّ أعِنه".

ثمّ إنّ مثل هذه الوصايا كانت متداولة بين الكبار من الناس وبين الأئمّة الأطهار عليهم السلام من وصيّة بعضهم البعض الآخر.

وكان الظاهــر مــن سياق كلّ واحدة مــن مثل هذه العبارات الّتــي وردت من إمام لإمــام آخر عليهما السلام هو الإمام المخاطب بنفسه.

كما ورد في إحدى وصايا الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى ولديه الحسن والحسين عليهما السلام: "أوصيكما وأهل بيتي ومن بلغه كتابي".

ومن المعلوم أنّ الحسنين عليهما السلام كانا داخلين في هذه

الوصيّــة. وتكشف هذه الوصايا عن شدّة اهتمام وتعلّــق المعصومين بعضهم ببعض. وعلى أيّ حال إنّ كون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مخاطَباً بالوصيّة يكشف عن عظمة الوصية وأهميّتها.

ثانيتها: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أكّد على هذه الوصيّة بهذا المستوى من التأكيد للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام رغم أنّه لن يتجاوز وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله قيد أنملة ولن يبد تجاهها وهناً ولا فتوراً.

ثالثتهما: نبّه رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بعد أن قال: "يا عليّ أوصيك".

على أهميّة الوصيّة قائلاً: "فاحفظها عنّي".

ولمّا تمنّى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأتي بهذه الوصايا المهمّة دعا له قائلاً: "اللهمّ أعِنه".

وهكــذا بقيّة التأكيدات، الّتــي وردت في كلّ واحدة من هذه الجمل بصــورة مستقلّة مثل نون التوكيد، تكرار الوصيّة وغير ذلك ممّا لا نحتاج إلى تعداده.

إذاً يُعلــم أنّ هــذه الوصايا من الأمور الهامّة. ومن الواضح أنّه لا يعود في جميع هذه الوصايا بالفائدة علــى رســول الله صلى الله عليه وآله وإنّما تعود المنفعة إلى المخاطب. والإمام عليه السلام وإن كان هو المخاطب بالأصالة ولكــنّ التكاليــف عامّــة ومشتركة بين الجميــع، حيث لا تعطّل برحيــل المخاطب بل إنّهــا متواصلة مع الأجيال.

ولا بــدَّ مــن معرفة أنّ شدّة تعلّق رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمام علــيّ عليه السلام تبعث على الفائدة الكبيرة لهذه الوصايا التي بُينتَ بهذا الأسلوب وعلى أهميّتها الكبيرة والله العالم.

١٣

الدرس الثالث عشر

سورة الهُمَزَة

الدرس الثالث عشر

سورة الهُمَزَة

أهداف الدرس:

- أن يحفظ الطالب سورة الهُمَزة المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ❖ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ❖ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ❖ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ❖ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ❖ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ❖ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ❖ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾

شرح المفردات:

١- الهُمَزة: الّذي يعيبك بظهر الغيب.	٤- الحطمة: اسم من أسماء جهنّم.
٢- اللُّمَزة: الّذي يعيبك في وجهك.	٥- الأفئدة: القلوب.
٣- لينبذنّ: ليقذفنّ.	٦- مؤصدة: مطبقة.

محتوى السورة وفضيلتها:

هذه السورة، وهي من السور المكّية، تتحدّث عن أناس جعلوا كلّ همّهم لجمع المال، وحصروا كلّ قيم الإنسان الوجوديّة في هذا الجمع، ثمّ هم يسخرون من الّذين لا يملكون المال وبهم يستهزئون، ومنهم الوليد بن المغيرة، والأخنس بن شريق، وأميّة بن خلف.

هؤلاء الأثرياءُ المستكبرون والمغرورون أسكرهم الطغيان فراحوا يستهينون بالآخرين ويعيبونهم ويتلذّذون بما يفعلون من غيبة واستهزاء.

السورة تتحدّث في النهاية عن المصير المؤلم الّذي ينتظر هؤلاء، وكيف أنّهم يُلقون في جهنّم صاغرين،

وأنّ نار جهنّم تتّجه بلظاها أوّلاً إلى قلوبهم المليئة بالكبر والغرور، وتحرقها بالنار.

وفي فضيلة هذه السورة ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من قرأ سورة الهُمّزة أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمّد وأصحابه"(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: "من قرأ ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾ في فرائضه، أبعد الله عنه الفقر وجلب عليه الرزق ويدفع عنه ميتة السوء"(٢).

في كنف السورة:

السورة المباركة تورد صفات عديدة لصنف من الناس. هذه الصفات مذمومة، لما لها من آثار سلبيّة على الفرد والمجتمع:

١. الهمز واللمز:

قال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان:

الهمزة: الكثير الطعن على غيره بغير حقّ، العائب له بما ليس بعيب...

واللمز: العيب أيضاً.

وقيل: بينهما فرق فإنّ الهمزة: الّذي يعيبك بظهر الغيب، واللمزة: الّذي يعيبك في وجهك...

وقيل: الهمزة: الّذي يؤذي جليسه بسوء لفظه، واللمزة الّذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويومي بعينه...(٣).

وفي الحقيقة إنّ هاتين الصفتين أكثر ما تنبثقان من اللسان، الّذي إذا أُسيء استعماله أدّى بالإنسان الفرد والمجتمع إلى عواقب وخيمة.

وهذا ما حذّر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث حمَّل اللسان من الأوزار والعذاب ما لم يحمِّله لغيره من جوارح البدن فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "يعذِّب الله اللسان بعذاب لا يُعذّب به شيئاً من الجوارح فيقول: أي ربّ عذّبتني بعذاب لم تعذّب به شيئاً. فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها،

---

(١) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٣٦.

(٢) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص١٢٦.

(٣) نقله عن المجمع، تفسير الميزان، ج٢٠، ص٣٥٨.

فسُفك بها الدم الحرام وانتُهب بها المال الحرام وانتُهك بها الفرج الحرام، وعزّتي وجلالي لأعذّبنّك بعذاب لا أعذّب به شيئاً من الجوارح..."[1].

ولخطورة موقع اللسان في حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً، وردت الوصايا الإسلاميّة الكثيرة، في تهذيب اللسان.

فهذا القرآن الكريم يقارن بين الكلمة الطيّبة والكلمة الخبيثة قائلاً:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ❖ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ❖ وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[2].

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله في رسالة الحقوق حول حقّ اللسان:

"وأمّا حقُّ اللسان فإكرامه عن الخنى[3] وتعويده على الخير وحمله على الأدب وإجمامه[4] إلّا لموضع الحاجة والمنفعة للدِّين والدُّنيا، وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة الّتي لا يُؤمن ضررها مع قلّة عائدتها، ويعدُّ شاهد العقل والدليل عليه، وتُزيّن العاقل بعقله حُسنُ سيرته في لسانه ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم"[5].

وللّسان قبائح منها:

١. الفحش والبذاءة:

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّ من أشرّ عباد الله من تُكره مجالسته لفحشه"[6].

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٠٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

(٣) الخنى: الفحش في الكلام.

(٤) إجمامه: إراحته.

(٥) تحف العقول، الحرّاني، ص٢٥٦.

(٦) م.ن، ح٨.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك شيطان"[٧].

وفي حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيء، قليل الحياء، لا يُبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّك إن فتّشته لم تجده إلى لغية أو شرك شيطان. قيل يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما تقرأ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿.. **وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ..**﴾[٨]"[٩].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: "إنّ الفحش والبذاءة والسلاطة من النفاق"[١٠].

٢. الغيبة:

وهي ذكرك أخاك بما يكره في غيبته.

وقد ورد الكثير من النصوص الإسلاميّة حول قبحه، ويكفيك قول الله تعالى: ﴿... **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾[١١].

٣. البهتان:

وهو ذكرك أخاك بما ليس فيه، وهو أشدّ قبحاً من الغيبة، ويعدّ البهّات من شرار الرجال، كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "ألا أخبركم بشرار رجالكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: إنّ من شرار رجالكم البهّات الجريء الفحّاش..."[١٢].

٤. الاستهزاء:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ**

(٧) م.ن، ح١.

(٨) سورة الإسراء، الآية:٦٤.

(٩) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٣٢٣.

(١٠) وسائل الشيعة، ج١١، كتاب الجهاد، باب ٧١ من أبواب جهاد النفس، حديث ٣.

(١١) سورة الحجرات، الآية:١٢.

(١٢) الكافي، ج٢، ص٢٩٢.

الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

٥. النميمة والفتنة:

وهي أن تخبر شخصاً خبراً، لتفسد علاقته مع أخيه أو صديقه.

٦. الكذب:

وهو الإخبار بغير الواقع، عن أبي جعفر عليه السلام قال: "إنّ الكذب هو خراب الإيمان"[2].

الحلّ: ممّا يساعد على تغيير اللسان: العادة، يقول الشاعر:

"عوِّد لسانك قول الحقّ تحظَ   به إنّ اللسان لما عوّدت معتاد"

ويجمع الجميع صفتا الهمز واللمز، اللذين يكشفان عن باطن خبيث للإنسان الذي يتّصف بهما، فالإناء بالذي فيه ينضح، وأكثر ما ترى قبح اللسان في الكافرين.

٢. حبّ المال:

الصفة الثانية التي ذكرتها الآية الكريمة، حبّ المال. وهنا نقف قليلاً حول هذه الصفة.

فبشأن المال والثروة، اختلفت وجهات نظر الناس بين إفراط وتفريط، بعضهم أسبغ على المال أهميَّة فائقة فجعله مفتاح حلّ كلّ المشاكل، ولذلك فإنّ دأب هؤلاء الأفراد جمع المال، ولا يدّخرون وسعاً على هذا الطريق، ولا يتقيّدون بقيد، ولا يهتمّون بحلال أو حرام، بهمز أو بلمز، بكذب أو بهتان، المهمّ عندهم تعداد الأموال. وهذه الصفة أكثر ما توجد في الكافرين.

ومقابل هذه المجموعة هناك من لا يعير أية أهميّة للمال والثروة، يمتدحون الفقر، ويشيدون به، ويرون في المال عائقاً للتقوى والقرب الإلهيّ، كبعض المتصوِّفة ومن سلك مسلك الرهبانيّة.

وإزاء ذاك الإفراط وهذا التفريط، يقف الإسلام وسطاً ويبيّن أنّ المال مطلوب ولكن بشروط:

---

(١) سورة الحجرات، الآية:١١.

(٢) الكافي، الكليني، ج٢، ص٣٣٨

أوّلها: أن يكون وسيلة لا غاية.

ثانيها: أن لا يكون الإنسان له أسيراً، بل أن يكون عليه أميراً.

ثالثها: أن يأتي بالطرق المشروعة (لا بالكذب والبهتان، والغشّ والخداع) وأن ينفق في سبيل رضا الله تعالى.

فالرغبة في هذا المال ليست دائماً دليلاً على حبّ الدنيا.

٣. توهّم الباطل:

من الصفات الّتي ذكرتها السورة الكريمة، أنّ هذا الصنف من الناس يعيش الأوهام الباطلة، لا الحقائق الناصعة، فيحسب أنّ المال الّذي يجمعه هو الّذي سيخلّده في الدنيا.

هذا الصنف من الناس حيث لم يلجأ إلى ركن وثيق، إلى خالق الكون، ربّ العالمين، فإنّه يتمسَّك بأيّ شيء ليوهم نفسه أنّه سيعيش إلى الأبد، وما هو بمزحزحه من العذاب:

﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ❖ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ❖ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ❖ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ❖ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

خلاصة الدرس

- تتمحور سورة الهُمَزة المباركة حول الحديث عن أناس كرّسوا حياتهم لجمع المال وجعلوه ميزاناً للتفاضل.
- تورد السورة الكريمة صفاتاً متعدّدة لهؤلاء منها الهمز واللمز الذي يخرج عن لسان الإنسان تجاه غيره وله مصاديق قبيحة كالفحش والغيبة والبهتان والاستهزاء والنميمة والكذب.
- لا ينبغي للإنسان أن يكون أسيراً للمال، سالكاً السبل المحرّمة في جمعه، ولا ينبغي له ترك طلب الرزق والمال من الله تعالى وبما أحلّه الله فبه يحفظ الإنسان وجهه عن التبذّل للآخرين.
- إنّ نهاية المتعلّق بأوهام الدنيا المعتبِر بأنّ المال غاية المنى ومنتهى الرجاء ستكون مؤلمة وقاسية بنار موقدة لا تحرق الجلود فحسب بل تصل إلى الأفئدة.

أسئلة الدرس

١. ما المراد من الهُمَزة واللُّمزة؟

....

....

٢. ما هو موقف الإسلام من جمع المال؟

....

....

٣. اذكر حديثاً يشير إلى خطورة اللسان.

....

....

٤. ما هي شروط جمع المال الصحيح؟

....

....

٥. ما هو التوهُّم الباطل الّذي يعيشه محبّ المال؟

....

....

للمطالعة

المفاسد الاجتماعيّة للغيبة

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره:

إنّ هذه المعصية الكبيرة وهذه الجريرة العظيمة، من المفسدات للإيمان والأخلاق والظاهر والباطن، وهي تدفع بصاحبها إلى الفضيحة في الدنيا والآخرة... وتشتمل هذه الرذيلة على مفاسد اجتماعيّة ونوعيّة أيضاً. ولهذا يكون فسادها وقبحها أعظم من كثير من المعاصي.

إنّ من الأهداف الكبيرة للشرائع الإلهيّة والأنبياء العظام سلام الله عليهم: توحيد الكلمة وتوحيد العقيدة والاتّفاق في الأمور الهامّة، والحدّ من ظلم الجائرين الباعث على فساد بني الإنسان، ولا يتحقّق هذا الهدف الكبير المصلح للمجتمع والفرد إلّا في ظلّ وحدة النفوس واتّحاد الهمم والتآلف والتآخي، والصداقة القلبيّة والصفاء الباطنيّ والظاهريّ، وتربية أفراد المجتمع على نمط يساهم في جعلهم كشخص واحد، ويحوّل المجتمع إلى فرد، ويجعل الأفراد بمنزلة الأعضاء والأجزاء لذلك الفرد ومن ثمّ ما تدار كافّة الجهود والمساعي حول الهدف الإلهيّ الكبير، والأمر الهامّ وهو الوحدة والأخوّة الذي فيه مصلحة الفرد والمجتمع. ولو أنّ مثل هذه الوحدة والأخوّة ظهرت في طائفة أو نوع، لتغلّبوا على جميع الطوائف والأمم الّتي لا تحظى بالأخوّة والوحدة كما يتّضح ذلك من مراجعة التاريخ وخاصّة دراسة الحروب الإسلاميّة وفتوحاته العظيمة، حيث تمتّع المسلمون لدى بزوغ فجر الإسلام، بشيء من الوحدة والاتّحاد، واقترنت مساعيهم بشيء من الخلوص في النيّة، فحقّقوا في فترة قصيرة إنجازات عظيمة، وهزموا القوى الجبّارة آنذاك المتمثّلة في الفرس والروم وانتصروا رغم قلّة عددهم وعُدّتهم على الجيوش المدجّجة بالسلاح وعلى المجتمعات الكبيرة.

إنّ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم قد أجرى عقد الأخوّة في الأيّام الأولى بين المسلمين فسادت الأخوّة حسب الآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...**﴾[1]، بين جميع المؤمنين.

وفي الكافي عن شعيب العقرقوفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لأصحابه: "اتّقوا الله وكونوا

(١) سورة الحجرات، الآية:١٠.

إخوة بررةً في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه"[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: "يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتّى تكونوا كما أمركم الله (عزَّ وجلَّ) ﴿رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾"[2].

وعنه عليه السلام: "تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وكونوا إخوة بررةً كما أمركم الله عزَّ وجلَّ"[3].

ومن المعلوم أنّه كلّ ما يبعث على ازدياد هذه الصفات، يكون محبوباً ومرغوباً فيه وكلّ ما ينقض هذه الأخوّة ويفرط عقد التواصل ويدفع نحو التمزّق، يعتبر مبغوضاً عند صاحب الشريعة ومناقضاً لأهدافه الكبيرة. ومن الواضح لدى الجميع بأنّ هذه المعصية الكبيرة الخطيرة ـ الغيبة ـ إذا أشيعت في المجتمع، غرست شجرة النفاق فيه، وضعضعت وحدة المجتمع وتضامنه، ووهن أساس الديانة، وفي النهاية تزداد في المجتمع القبائح والمفاسد.

فيجب على كلّ مسلم غيور ملتزم، لصيانة نفسه من الفساد، وأهل دينه من النفاق وللمحافظة على المجتمع الإسلاميّ ووحدته ولتحكيم عقد الأخوّة أن يبتعد عن هذه الرذيلة، ويمنع المغتابين من هذه الموبقة القبيحة، ويتوب إلى الله من هذا العمل الكريه، إذا كان مبتلىً به، ويسترضي من اغتابه. وإذا أمكن من دون أن يفضي إلى مشكلة استحلّه، وإلّا استغفر له وتخلّى عن هذه الخطيئة، وأنعش من جديد في قلبه جذور الصداقة والاتّحاد، حتى يصبح من الأعضاء الصالحين في المجتمع وينقلب إلى جزء هام في عجلة الإسلام والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

---

(١) أصول الكافي، ج٢ ، ص١٧٥ -كتاب الإيمان والكفر، باب التراحم والتعاطف- ح١.

(٢) م.ن، الحديث ١٤.

(٣) م.ن، الحديث ٢

١٤

الدرس الرابع عشر

سورة الماعون

الدرس الرابع عشر

سورة الماعون

أهداف الدرس:

- أن يحفظ الطالب سورة الماعون المباركة.
- أن يستذكر بعضاً من معاني مفرداتها.
- أن يتبيّن بعضاً من مفاهيمها.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّـذِي يُكَـذِّبُ بِالدِّينِ ❖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ❖ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❖ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ❖ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ❖ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ ❖ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

شرح المفردات

١- الدّعّ: الردّ بعنف وجفاء.	٣- ساهون: ناسون.
٢- يحضّ: «الحضّ» الترغيب.	٤- الماعون: كلّ ما يُعين في رفع حاجة من حوائج الحياة.

محتوى السورة وفضيلتها:

السورة بشكل عامّ تذكر صفات وأعمال منكري القيامة في خمس مراحل، وسياقها يتحدَّث عن القيامة وأعمال منكري القيامة بمقاطع قصيرة وقارعة.

فهؤلاء نتيجة لتكذيبهم بذلك اليوم، لا ينفقون في سبيل الله وعلى طريق مساعدة اليتامى والمساكين.

ثمّ هم يتساهلون في الصلاة، ويُعرضون عن مساعدة المحتاجين.

وفي سبب نزول السورة قيل إنّها نزلت في أبي سفيان الّذي كان ينحر في اليوم اثنين من الإبل ويُطعم أصحابه، ولكنّ يتيماً جاءه يوماً يطلب منه شيئاً فضربه بعصاه وطرده.

وقيل إنّها نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل في العاص بن وائل[١] وفي أبي جهل وكفّار قريش[٢].

وفي فضيلة تلاوة هذه السورة ورد عن الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام أنّه قال: "من قرأ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ في فرائضه ونوافله قَبِلَ اللّه صلاته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الحياة الدنيا"[٣].

في كنف السورة:

السورة المباركة على صغرها تحمل معانيَ وأفكاراً ومفاهيم مهمَّة، منها:

خطورة التكذيب بالدِّين:

فسِّر الدِّين وهو التفسير غير المشهور باتّباع الملَّة أي ملّة الإسلام العظيم، وفسِّر وهو التفسير المشهور بيوم الدِّين أي يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ❖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وعلى كلا التفسيرين فإنّ اللوازم المذكورة للتكذيب بالدِّين تصحّ، فالمكذِّب بالإسلام والكافر به، والمكذِّب بالآخرة، كلاهما يحملان صفات روحيّة وسلوكيّة قبيحة.

فهناك ارتباطٌ وثيق بين الاعتقاد من جهة والروحيّة والأخلاق والسلوك من جهة أخرى، فمن لا اعتقاد له باللّه واليوم الآخر، تُلاحظ فيه سلوكيّات شاذّة، منها:

أ- يدعّ اليتيم:

والدعّ هو الردّ بعنف، وهذا أقصى مراتب قساوة القلب. فلا يكفي الكافر في بعض حالاته من عدم الإحسان إلى اليتيم، بل يترقّى إلى أذيّته بردِّه بعنف.

أمّا المسلم المؤمن باللّه وبالآخرة فهو بخلاف ذلك، إنّه رحيم بالأيتام الّذين أوصى الإسلام العظيم بهم في وصايا كثيرة:

يقول اللّه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[٤].

---

(١) الأمثل، ج٢٠، ص٤٣٩.

(٢) الميزان، ج٢٠، ص٣٦٨.

(٣) مجمع البيان، ج١٠، ص٥٤٦.

(٤) سورة البقرة، الآية:٨٣.

ويقول سبحانه: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾[١].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته قبل موته: "اللّه اللّه في الأيتام فلا تغبُّوا[٢] أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: من عال يتيماً حتّى يستغنيَ عنه أوجب اللّه عزَّ وجلَّ له الجنّة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار"[٣].

عن أبي الدرداء قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وآله رجل يشكو قسوة قلبه. فقال صلى الله عليه وآله: "أتحبّ أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟ إرحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك"[٤].

ولقد ذمّ الإسلام آكلي أموال اليتامى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٥].

عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله: "شرّ المآكل أكل مال اليتيم"[٦].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: "قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: يُبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجّج أفواههم ناراً. فقيل له: يا رسول اللّه من هؤلاء؟ قال: الّذين يأكلون أموال اليتامى"[٧].

وبعض الروايات يعلّل حرمة أكل مال اليتيم:

عن الإمام الرضا عليه السلام فيما كتب من جواب مسائله: "حرّم أكل مال اليتيم لعلل كثيرة من وجوه الفساد. أوّل ذلك، إذا أكل مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله إذ اليتيم غير مستغنٍ، ولا محتمل

(١) سورة البقرة، الآية:١٧٧.

(٢) أغبّ القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أي لا تجوّعوهم بأن تطعموهم غبّاً.

(٣) فروع الكافي، ج٧، ص١١.

(٤) ميزان الحكمة، الريشهري، مج١٠، ص٧٦٥.

(٥) سورة النساء، الآية:١٠.

(٦) ميزان الحكمة، مج١٠، ص٧٦٦.

(٧) م.ن.

لنفســه، ولا قائــم بشأنــه، ولا له من يقــوم عليه ويكفيه كقيام والديــه، فإذا أكل مالــه فكأنّه قد قتله وصيّره إلى الفقر والفاقة..."[8].

ب- لا يحضّ على طعام المسكين:

ومن صفات الكافر أنّه ليس لديه روح التعاون، فهو لا يحضّ على طعام المسكين، أي لا يرغِّب نفسه أو غيره على إطعام المسكين.

المدّعون للإسلام المتشبّهون بالكافرين:

ثمّ تنتقل السورة إلى صنف من الناس تراهم في المجتمع الإسلاميّ، ويدّعون الإسلام، إلّا أنّ سلوكهم وأخلاقيّاتهم تشابه أخلاق الّذي يكذِّب بالدِّين، وهؤلاء تعرفهم من خلال بعض الصفات:

١. ساهون عن الصلاة مراؤون بها:

فهــم غافلون عنها لا يهتمّــون ولا يبالون أن تفوتهم بالكلّية، وبالإضافة للسهو عن الصلاة هناك سهو في الصلاة ينبغي أن يتجنّبه المؤمن.

فالسهو في موضوع الصلاة مراتب:

أ – تركها كلّيّة، كمن يدّعي الإسلام قولاً، وينكره بتركه للصلاة عملاً.

ب – الصلاة المرائية.

ج – التهاون بها وتضييعها وعدم الاهتمام بها، فهو يصلّي مرّة ويقطع عشراً.

د – عدم الخشوع فيها.

هـ – تأخيرها عن أوّل وقتها.

في تفسير القمّيّ في قوله تعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ**﴾، قال: نزلت في أبي جهل وكفّار قريش، وفي قوله: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾. قال: عنى به تاركون، لأنّ كلّ إنسان يسهو في الصلاة.

---

(٨) م.ن، مج١٠، ص٧٦٧.

عن أبي عبد الله عليه السلام : "تأخير الصلاة عن أوّل وقتها لغير عذر"[1].

وفي الخصال عن الإمام عليّ عليه السلام قال: "ليس عمل أحبّ إلى الله عزَّ وجلَّ من الصلاة فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا فإنّ الله (عزَّ وجلَّ) ذمّ أقواماً فقال: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ أيعني أنّهم غافلون استهانوا بأوقاتها"[2].

وفي الإسلام توصيات كثيرة بالصلاة، فهي عمود الدين، والّتي إن قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردّ ما سواها، وأوّل شيء يُسأل العبد عنه يوم القيامة، وهي قربان كلّ تقيّ.

عن الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق:

"فأمّا حقّ الصلاة فأن تعلم أنّها وفادة إلى الله وأنّك قائم بها بين يدي الله فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل، الراغب الراهب، الخائف، الراجي، المسكين، المتضرّع المعظّم من قام بين يديه بالسكون والإطراق وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبتك الّتي أحاطت بها خطيئتك واستهلكتها ذنوبك. ولا قوّة إلّا بالله"١٥[3].

والإمام زين العابدين عليه السلام لم يكن متكلّماً بهذه الكلمات فحسب بل: "كان إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتّى يرفض[4] عرقاً".

وفي حديث آخر: "كان عليّ بن الحسين إذا قام في الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه شيء إلّا ما حرّكت الريح منه"[5].

هذه هي صلاة الأئمّة عليهم السلام، صلاتهم ليست كصلاة من روى عنه أبو جعفر عليه السلام حيث يقول: "بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام يصلّي فلم يتمّ ركوعه ولا سجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتنّ على غير ديني"[6].

---

(١) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢١، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٢) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢١، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٣) رسالة الحقوق، للإمام زين العابدين، حقّ الصلاة.

(٤) يرفض عرقاً: يسيل عرقه ويجري.

(٥) بحار الأنوار، ج٤٦، ص٦٤.

(٦) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج٣، كتاب الصلاة، باب ٨ من أبواب اعداد الفرائض حديث ٢.

٢. يمنعون الماعون:

ومن صفات تاركي الصلاة المتهاونين بها، صفة منع الماعون، والماعون: "كلّ ما يعين الغير في رفع حاجة من حوائج الحياة كالقرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره"[٧] إلى غير ذلك.

عن أبي عبد الله عليه السلام: "وقوله (عزّ وجلّ) ﴿**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكاة"[٨].

فالمسلم الحقيقيّ: هو الباذل المعطي الكريم المتصدِّق، هو صاحب روح معطاءة متعاونة، لا شحيحة بخيلة.

أنظروا إلى أئمّتكم قدوتكم عليهم السلام كيف كانوا: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ❖ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا**﴾[٩].

حشرنا الله مع أئمّتنا، مع محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، والتسعة المعصومين من ذريّة الحسين عليهم السلام، وجعلنا الله من المقتدين بهم، فمن اقتدى بهم ربح، ومن تخلّف عنهم خسر.

خلاصة الدّرس

- تذكر سورة الماعون المباركة بعضاً من صفات وأعمال منكري يوم القيامة.
- من مفاهيم هذه الصورة: خطورة التكذيب بالدِّين ويتميّز صاحبه بأنّه يردّ اليتيم بعنف ولا يدعو لإطعام المساكين.
- ثمّ تنتقل السورة للحديث عن المدّعين للإسلام قولاً المشابهين للكافرين فعلاً، الساهين عن الصلاة التاركين لها، ومن صفاتهم أنّهم يمنعون الخير عن الآخرين.

---

(٧) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج٢٠، ص٢٦٨.

(٨) م.ن، ص٢٦٩.

(٩) سورة الإنسان، الآيتان: ٨-٩.

أسئلة الدرس

١. اذكر حديثاً حول فضل قراءة هذه السورة.

....

....

٢. ما المراد بقوله "يدَعّ" ؟

....

....

٣. اذكر آية تدلّ على أنّ الإحسان إلى اليتيم من صفات المؤمنين.

....

....

٤. كيف يتحقّق السهو عن الصلاة؟

....

....

للمطالعة

ماعون آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

فيمـا ينقـل عـن الإمامين الحسين بـن عليّ والصـادق صلـوات الله وسلامـه عليهمـا: "أنّهما كانا يتصدّقـان بالسُكَّر ويقـولان إنّه أحبّ الأشياء إلينا وقد قال الله تعالى: ﴿**لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾"[1].

وفي الحديث عن أبي الطفيل قال: اشترى عليٌّ عليه السلام ثوباً فأعجبه فتصدّق به وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنَّة ومن أحبَّ شيئاً فجعله لله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يُكافئون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنَّة"[2].

واستضاف أبو ذرّ الغفاريّ ضيفاً فقال للضيف: إنّي مشغول وإنَّ لي إبلاً فاخرج وأتني بخيرها.

فذهب فجاء بناقة مهزولة.

فقال له أبو ذرّ: خُنتني بهذه.

فقال: وجدتُ خير الإبل فحلَها فذكرت يوم حاجتكم إليه.

فقـال أبـو ذرّ: "إنَّ يوم حاجتي إليه ليوم أوضعُ في حُفرتي والله يقول: ﴿**لَـن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾. "وإنّ هذا الجمل كان ممّا أُحِبُّ من مالي فأحببت أن أقدِّمَه لنفسي"[3].

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره في بيان سرٍّ من أسرار الصدقة:

لا بدَّ وأن نعرف بأنّ الإنسان قد نشأ وتربّى على حبّ المال والجاه والزخارف الدنيويّة. وقد انعكس هذا التعلّـق على قلبه، فتعمَّق فيه وأضحى مصدراً لكثير مـن المفاسد الخلقيّة والسلوكيّة، بل الانحرافات

---

(١) مجمع البيان، ج٢، ص٤٧٢، طباعة دار احياء التراث العربي.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن، تفسير الآية ٩٢ من سورة آل عمران.

الدينيّـة. كما ورد في أحاديث كثيرة[1] وأشرنا إلى ذلك في غضون شرحنا لبعض الأحاديث[2]. وعليه إذا استطـاع الإنســان بواسطة الصدقات أو الإيثـار على النفس أن يستأصل من قلبـه هذا التعلّق أو يخفّف منه، لتمكّن من اجتثاث مادّة الفساد ومصدر الأعمال المشينة فترة حياته وفتح أبواب المعارف الإلهيّـة، وعالم الغيب، والملكـوت، والملكات الفاضلة، على نفسه، وهذا من الأمـور الهامّة في الإنفاق المـاليّ الواجب والمتسحبّ وخاصّـة في الإنفاق المستحبّ حيث لا بدَّ من الإقلاع عن التعلّق بالدنيا حتّى يتمّ البذل، وهو واضح.

إذن يتبـيّن من كافّة الأخبـار والأحاديث في هذا الموضوع أنّ الصدقة تشتمـل على الفضائل الدنيويّة والأخرويّة حيث ترافق الإنسان من اللحظة الأولى من التصدّق فتدفع الشرّ والبلاء عن الإنسان حتّى يوم القيامة ومواقفها إلى أن تُدخل الإنسان إلى الجنّة وتسكنه جوار الحقّ سبحانه.

لا بـدَّ أن نعـرف بأنّ صدقة السرّ أفضل من الصدقة في العلن، كما ورد في الكافي الشريف بسنده إلى عمّار الساباطيّ عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

"يا عمّار الصدقة في السرّ واللهِ أفضلُ من الصدقة في العلانية وكذلك واللهِ العبادة في السِّرّ أفضل منها في العلانية"[3].

(١) أصول الكافي، ج٢، ص ٣١٥ كتاب الإيمان والكفر باب حبّ الدنيا والحرص عليها الأحاديث١/١٧.

(٢) الحديث ٦، ص١٤٦ فصل في بيان سبب ازدياد حبّ الدنيا.

(٣) فروع الكافي، ج٤، ص٨ كتاب الزكاة باب فضل صدقة السرّ، الحديث ٢.

١٥

الدرس الخامس عشر

تفسير سورة الجمعة

١

الدرس الخامس عشر

تفسير سورة الجمعة ١

أهداف الدرس

١. أن يتبيّن الطالب بعضاً من معاني ومفاهيم سورة الجمعة المباركة.

٢. أن يتعرّف إلى هدف البعثة النبويّة.

٣. أن يستعلم أهميّة صلاة الجمعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ❖ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ❖ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❖ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ❖ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ❖قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ❖ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ❖ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ❖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ❖ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ❖ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ❖﴾

في رحاب السورة:

تدور هذه السورة المباركة حول محورَين أساسيَّين:

الأوّل: هو التوحيد وصفات الله والهدف من بعثة الرسول ومسألة المعاد.

والمحور الثاني: هو الأثر التربويّ لصلاة الجمعة وبعض الخصوصيّات المتعلّقة بهذه العبادة العظيمة.

ولكن يُمكن أن نُجمل الأبحاث الّتي وردت في هذه السورة المباركة بالنقاط التالية:

١. تسبيح كافّة المخلوقات.

٢. الهدف التعليميّ والتربويّ من بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. تحذير المؤمنين وتنبيههم من مغبّة الوقوع في الانحراف الّذي وقع فيه اليهود فابتعدوا عن جادّة الصواب والحقّ.

٤. إشارة إلى قانون الموت العامّ والشامل الّذي يُمثِّل المعبر إلى عالم البقاء والخلود.

٥. التأكيد على أداء فريضة صلاة الجمعة، وحثّ المؤمنين على تعطيل العمل والكسب من أجل المشاركة فيها.

الهدف من بعثة الرسول:

تبدأ هذه السورة بالتسبيح لله عزَّ وجلَّ، وتُشير إلى بعض صفات الجمال والجلال والأسماء الحسنى لله. ويُعتبر ذلك في الحقيقة مقدّمة للأبحاث القادمة، حيث يقول تعالى: ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾، حيث يُسبّحونه ويُنزّهونه عن جميع العيوب والنقائض، الملك القدّوس العزيز الحكيم.

وبناءً على ذلك تُشير الآية أوّلاً إلى "المالكيّة والحاكميّة المطلقة" لله سبحانه، ثمّ "تُنزّهه من أيّ نوع من الظلم والنقص" وذلك لارتباط اسم الملوك بأنواع المظالم والمآسي، فجاءت كلمة "قدّوس" لتنفي كلّ ذلك عنه جلّ شأنه.

وبعد هذه الإشارة الخاطفة ذات المعنى العظيم لمسألة التوحيد وصفات الله، يتحدّث القرآن عن بعثة الرسول والهدف من هذه الرسالة العظيمة المرتبطة بالعزيز الحكيم القدّوس، حيث يقول: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾.

وذلك من أجل أن يطهّرهم من كلّ أشكال الشرك والكفر والانحراف والفساد ويُزكّيهم ويُعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

"الأميّين" جمع (أُمّيّ) وهو الّذي لا يعرف القراءة والكتابة (نسبته إلى الأمّ باعتبار أنّه لم يتلقّ تعليماً في معهد أو مدرسة فهو بقي على ما ولدته أمّه).

والجدير بالذكر أنّ الآية تؤكّد أن نبيّ الإسلام بُعث من بين هؤلاء الأميّين الّذين لم يتلقّوا ثقافة وتعليماً وذلك لبيان عظمة الرسالة وذكر الدليل على حقّانيّتها، لأنّ من المحال أن يكون هذا القرآن العظيم وبذلك المحتوى العميق وليد فكر بشريّ وفي ذلك المحيط الجاهليّ ومن شخص أميّ أيضاً، بل هو نور أشرق في الظلمات، ودوحة خضراء في قلب الصحراء، وهي بحدّ ذاتها معجزة باهرة وسند قاطع على حقّانيّته...

ولخّصت الآية الهدف من بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثة أمور، جاء أحدها كمقدّمة وهو تلاوة الآيات عليهم، بينما شكّل الأمران الآخران أي (تهذيب وتزكية النفس) و (تعليمهم الكتاب والحكمة) الهدف النهائيّ الكبير.

ولكن لم يكن الرسول مبعوثاً لهذا المجتمع الأمّيّ فقط، بل كانت دعوته عامّة لجميع الناس، فقد جاء في الآية التالية ﴿**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾[1].
وجاء في آخر الآية: ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

بعد أن يُشير إلى هذه النعمة الكبيرة - أي نعمة بعث نبيّ الإسلام الأكرم وبرنامجه التعليميّ والتربويّ - يُضيف قائلاً: ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾.

الحمار الّذي يحمل الأسفار:

جاء في بعض الروايات أنّ اليهود قالوا: (إذا كان محمّد قد بُعث برسالة فإنّ رسالته لا تشملنا) فردّت عليهم الآية مورد البحث في أوّل بيان لها بأنّ رسالته قد أُشير إليها في كتابكم السماويّ لو أنّكم قرأتموه وعملتم به.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٣.

يقــول تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِيـنَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَـا**﴾، أي نزلت عليهم التوراة وكُلّفوا بالعمل بها ولكنّهم لم يؤدّوا حقّها ولم يعملوا بآياتها فمثلهم ﴿**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾.

لا يشعر هذا الحيوان بمّا يحمل من كتب إلّا بثقلها، ولا يُميّز بين أن يكون المحمول على ظهره خشباً أو حجراً أو كتباً فيها أدقّ أسرار الخلق وأحسن منهج في الحياة.

لقد اقتنع هؤلاء القوم بتلاوة التوراة واكتفوا بذلك دون أن يعملوا بموجبها.

هؤلاء مثلهم كمثل الحمار الّذي يُضرب به المثل في الغباء والحماقة.

وذلك أوضح مثال يُمكن أن يكشف عن قيمة العلم وأهمّيّته.

ويُعتـبر ذلك تحذيـراً للمسلمين كافّة من أن ينتهـوا إلى ما انتهى إليه اليهود، فقـد شملتهم الرحمة الإلهيّـة ونزل عليهـم القرآن الكريم، لا لكي يضعـوه على الرفوف يعلوه الغبـار، أو يحملوه كما تُحمل التعاويـذ أو ما إلى ذلك. وقد لا يتعـدّى اهتمام بعض المسلمين بالقرآن أكثر من تلاوته بصوت جميل في أغلب الأحيان

توصيف حال اليهود

ثمّ يقول تعالى: بئس مثل القوم الّذين كذّبوا بآيات الله، إذ لم يكتفوا بمخالفة القرآن عملاً، بل أنكروه بلسانهـم أيضاً، حيث قالـت الآية (٨٧) من سورة البقرة وهي تصف اليهود: ﴿**فَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُـولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾.

ويقول تعالى في آخر الآية في عبارة وجيزة: ﴿**وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾.

صحيـح أنّ الهدايـة شأن إلهيّ، ولكـن ينبغي أن تُهيّأ لها الأرضيّة اللّازمـة، وهي الروح التوّاقة لطلب الحـقّ والبحث عنه، وهـي أمورٌ يجب أن يُهيّئها الإنسان نفسه، ولا شكّ أنّ الظالمين يفتقدون مثل هذه الأرضيّة.

ومن المعروف أنّ اليهود اعتبروا أنفسهم أمّة مختارة، أو نسيجاً خاصّاً لا يُشبه غيره، وذهبوا إلى أبعد مـن ذلـك حينما ادّعوا أنّهم أبناء الله وأحبّاؤه، وهذا ما أشارت إليه الآية (١٨) من سورة المائدة: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ (رغم أنّهم يقصدون الأبناء المجازيّين).

ولكـنّ القـرآن شجب هذا التعالي مرّة أخرى بقوله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾.

فالأحبّـاء يتمنّـون اللقاء دائماً، ولا يتـمّ اللّقاء المعنويّ بالله يوم القيامـة إلّا عندما تزول حجب عالم الدنيـا وينقشع غبار الشهـوات والهوى، وحينئذ سـيرى الإنسان جمال المحبـوب ويجلس على بساط قربه، ويكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾ فيدخل إلى حرم الحبيب.

إنّ خوفكم وفراركم من الموت دليل قاطع على أنّكم متعلّقون بهذه الدنيا وغير صادقين في ادّعائكم.

ويوضِّـح القـرآن الكريم هـذا المعنى بتعبير آخـر في سورة البقـرة آية (٩٦) عندما يقـول تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾.

ثـمّ يُشير القرآن إلى سبب خوفهم من الموت بقوله: ﴿**وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾.

<u>لأنّ خوف الإنسان من الموت ناشئ من عاملين أساسيّين:</u>

<u>الأوّل</u>: عدم إيمان الإنسان بالحياة بعد الموت واعتقاده أنّ الموت زوال وفناء.

<u>والثـاني</u>: أعمالـه السيّئة الّتـي يعتقد أنّه سيواجهها بعد مماته في عـالم الآخرة عندما تُقام المحكمة الإلهيّة.

وقد وصفهم القرآن الكريم بالظالمين، وذلك لأنّ الظلم يتّسع ليشمل جميع الأعمال السيّئة والجرائم الّتي ارتكبوها، من قتلهم الأنبياء وقول الزور وغصب الحقوق وتلوّثهم بمختلف المفاسد الأخلاقيّة.

غـير أنّ هـذا الخوف وذلك الفرار لا يُجدي شيئاً، فالمـوت أمرٌ حتميّ لا بدّ أن يُدرك الجميع، إذ يقول تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.

الموت قانون عامّ يخضع له الجميع بما فيهم الأنبياء والملائكة وجميع الناس، كلّ من عليها فانٍ ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام.

وكذلـك المثول أمام محكمة العدل الإلهيّ لا يفلت منها أحد، إضافة إلى علم الله تعالى بأعمال عباده بدقّةٍ وبتفصيل كامل.
وبهذا سوف لا يكون هناك طريق للتخلّص من هذا الخوف سوى تقوى الله وتطهير النفس والقلب من المعاصي. وبعد أن يُخلص الإنسان لله تعالى فإنّه لن يخاف الموت حينئذ.

ويعـبّر الإمـام أمير المؤمنـين عليه السلام عن هذه المرحلة بقوله: "هيهات بعد اللّتيّـا والّتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه"[1].

فـإذا صدّقـت النفس أنّ (الدنيا سجن المؤمـن وجنّة الكافر) وإذا أيقنت هـذه النفس أنّ هذا البدن الترابيّ إنّما هو سجن للروح وسور يضرب الحصار عليها، إذا آمنت بذلك حقّاً وكانت نظرة الإنسان إلى الموت هكذا فإنّه سوف لن يخشى الموت أبداً.
لهـذا نجـد في قصّة عاشوراء أنّـه كلّما ضاقت حلقة الأعـداء وازداد ضغطهم علـى الإمام الحسين وأصحابه ازدادت وجوههم إشراقاً، حتّى أنّ الشيوخ من أصحابه كانت الابتسامة تطفو على وجوههم في صبيحـة عاشوراء، وحينما كانوا يُسألون كانوا يقولـون: إنّنا سنُستشهد بعد ساعات فنُعانق الحور العين[2].

والسبـب الآخر الّـذي يجعل الإنسان يخاف من الموت هو التعلّق بالدنيـا أكثر من اللازم، الأمر الّذي يجعله يرى الموت الشيء الّذي سيفصله عن محبوبه ومعشوقه الّذي هو الدنيا.
وكـثرة السيّئـات وقلّة الحسنات في صحيفـة الأعمال هي السبب الثالـث وراء الخوف من الموت، فقد جـاء شخص وسأل (أبـا ذرّ): ما لنا نكره الموت؟ فأجابه أبو ذرّ قائلاً: "لأنّكم عمّرتم الدنيا وخرّبتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب"[3].

---

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٤١.

(٢) مقتل الحسين، المقرم، ص ٢٦٣.

(٣) لمحجّة البيضاء، ج ٨، ص ٢٥٨.

١٦

الدرس السادس عشر

تفسير سورة الجمعة

٢

الدرس السادس عشر

تفسير سورة الجمعة ٢

أهمّيّة صلاة الجمعة

إنّ أفضل دليل على أهمّيّة هذه الفريضة العظيمة هو الآيات الأخيرة في هذه السورة المباركة، الّتي أمرت جميع المسلمين وأهل الإيمان بمجرّد سماعهم لأذان الجمعة أن يُسرعوا إليها ويتركوا الكسب والعمل، وكلّ ما من شأنه أن يُزاحم هذه الفريضة.

عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إنّ الله تعالى فرض عليكم الجمعة، فمن تركها في حياتي أو بعد موتي استخفافاً بها أو جحوداً لها، فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حجّ له، ألا ولا صوم له، ألا ولا برّ له، حتّى يتوب"(١).

وفي حديث آخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من أتى الجمعة إيماناً واحتساباً استأنف العمل"(٢). أي غُفرت ذنوبه ويبدأ العمل من جديد.

وجاء في حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام: "صلاة الجمعة فريضة والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فإن ترك رجل من غير علّة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض ولا يدع ثلاث فرائض من غير علّة إلّا منافق"(٣).

والروايات كثيرة في هذا المجال ولا يتّسع المجال لذكرها جميعاً، لذا نحاول أن نُنهي هذا البحث بحديثٍ آخر، حيث جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إنّي تهيّأت عدّة مرّات للحجّ

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٧.

(٢) م.ن، ج٥، ص٣.

(٣) ثواب الأعمال، الصدوق، ص٢٣٣.

ولكنّـي لم أوفّـق. قـال ﷺ: "عليك بالجمعـة فإنّها حجّ المساكـين"[٤]. وفي ذلك إشـارة إلى أنّ ما يتضمّنه هذا المؤتمر الإسلاميّ الكبير (أي الحجّ) من بركات، موجودة في اجتماع صلاة الجمعة.

ومـن الملفـت للنظر أنّـه قد ورد ذمّ شديد لتارك صـلاة الجمعة، حتّى عُدّ التاركـون للجمعة في صفّ المنافقـين عندما تكون صلاة الجمعة واجباً عينيّاً (أي في زمـن حضور الإمام المعصوم عليه السلام) وأمّا في زمـن الغيبة - وبناءاً علـى أنّها واجبة تخييراً بينها وبين صلاة الظهر - فإنّه لا يكون مشمولاً بهذا الـذمّ والتقريع رغم عظمـة وأهمّيتها في هذا الوقت أيضاً (للتوسّع في ذلـك يجب الرجوع إلى الكتب الفقهيّة).

فلسفة صلاة الجمعة العباديّة والسياسيّة

إنّ صلاة الجمعة - قبل كلّ شيء - عبادة جماعيّة ولها أثر العبادات عموماً، حيث تُطهّر الروح والقلب مـن الذنوب، وتُزيل صدأ المعاصي عن القلوب، خاصّةً وأنّها تكـون دائماً مسبوقة بخطبتين تشتملان على أنواع المواعظ والحكم، والحثّ على التقوى وخوف الله.

أمّـا من الناحيـة السياسيّة والاجتماعيّة فهي أكبر مؤتمر أسبوعيّ عظيـم بعد مؤتمر الحجّ السنويّ، لهذا نجد الرسول ﷺ يقول تلك الرواية الّتي نقلناها سابقاً حول أنّ الجمعة حجّ من لا يملك القدرة على المشاركة في الحج.

ويُعطي الإسلام في الحقيقة أهميّة خاصّة لثلاثة مؤتمرات كبيرة:

- التجمّعات الّتي تتمّ يوميّاً لصلاة الجماعة.
- التجمّع الأسبوعيّ الأوسع في صلاة الجمعة.
- ومؤتمر الحجّ الّذي يُعقد في كلّ سنّة مرّة.

دور صلاة الجمعة

دور صـلاة الجمعة مهـمٌّ جدّاً خاصّـة وأنّ الخطيب سيتحـدّث في الخطبتين عن المسائـل السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وبذلك سيكون هذا التجمّع العظيم والمهيب منشأً للبركات والنِّعم التالية:

أ - توعية الناس على المعارف الإسلاميّة والأحداث السياسيّة والاجتماعيّة المهمّة.

ب- توثيق الاتّحاد والانسجام بين المسلمين أكثر لإخافة الأعداء.

(٤) م.ن، ج٧، ص٣٠٠.

ج – تجديد الروح الدينيّة ورفع معنويّات المسلمين.

د – إيجاد التعاون لحلّ المشكلات العامّة الّتي تواجه المسلمين.

ولهذا فإنّ أعداء الإسلام يخافون دائماً من صلاة الجمعة الجامعة للشرائط.

ولهـذا ـ أيضاً – كانـت صلاة الجمعة مصدر قوّة سياسيّة في أيدي حكومـات العدل كحكومة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الّـذي استثمرهـا أحسن استثمار لخدمـة الإسلام، وكذلك كانت مصدر قـوّة أيضاً لحكومات الجور كدولة بني أميّة الّذين استغلّوها لتحكيم قدرتهم وسيطرتهم وإضلال الناس.

وعلـى مـدى التاريخ نُلاحظ أنّ أيّة محاولة للتمرّد على النظام تبـدأ أوّلاً بالامتناع عن صلاة الجمعة خلـف الإمـام المنصوب من قبل الحاكم، فقد جاء في قصّة عاشوراء أنّ بعض الشيعة اجتمعوا في دار سليمـان بن صرد الخزاعيّ ثمّ بعثوا رسالة إلى الإمام الحسين من الكوفة جاء فيها "..والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نُلحقه بالشام إن شاء الله"[1].

وفي الصحيفـة السجّاديّـة عـن الإمام السجّـاد عليه السلام: "اللهـمّ إنّ هذا المقام لخلفائـك وأصفيائك ومواضع أمنائك، في الدرجة الرفيعة الّتي اختصصتهم بها قد ابتزّوها"[2].

وفي خطبـة الجمعة يتمّ تبديد جميع الإشاعات الّتـي كان الأعداء قد بثّوها خلال الأسبوع، وتدبّ بعد ذلك الحياة في جموع المسلمين ويبدأ دم جديد بالتدفّق.

وممّـا تجـدر الإشارة إليه أنّ فقـه أهل البيت عليهم السلام ينصّ على عدم جواز إقامـة أكثر من جمعة واحدة في منطقـة نصـف قطرها فرسخ، كما يجب أن يشارك في صـلاة الجمعة من كان يبعد عنها بمسافة فرسخين (أي ما يعادل أحد عشر كيلو متراً).

---

(١) البحار، ج ٤٤، ص ٣٣٣.

(٢) الصحيفة السجّاديّة، دعاء ٤٢.

كلّ هـذا يعنـي أنّه لا يُمكن إقامة أكثر من صلاة جمعة في مدينة واحدة صغيرة أو كبيرة، مع أطرافها وضواحيها. وبناءً على هذا فسيكون هذا التجمّع هو أوسع تجمّع يُقام في تلك المنطقة.

ولكنّنا نجد مع الأسف أنّ هذه المراسم العباديّة السياسيّة الّتي تستطيع أن تكون مصدر حركة عظيمة في المجتمعـات الإسلاميّة، نجدها بسبب سيطرة الحكومات الفاسدة على بعض الدول الإسلاميّة قد فقدت روحها ومعناها، إلى الحدّ الّذي لا تترك فيه أيّ أثر إيجابيّ، وأصبحت تُقام باعتبارها مراسم حكوميّة رسميّة لا أكثر، وذلك ممّا يحزّ بالنفس ويؤلم كثيراً

خلاصة الدرس

- تدور هذه السورة حول محورين أساسيّين:

الأوّل: هو التوحيد وصفات الله والهدف من بعثة الرسول ومسألة المعاد.

والمحور الثاني: هو الأثر التربويّ لصلاة الجمعة وبعض الخصوصيّات المتعلّقة بهذه العبادة العظيمة.

- صحيح أنّ الهداية شأن إلهيّ، ولكن ينبغي أن تُهيّأ لها الأرضيّة اللّازمة، وهي الروح التوّاقة لطلب الحقّ والبحث عنه.
- الموت قانون عامّ يخضع له الجميع بما فيهم الأنبياء والملائكة وجميع الناس.
- إنّ السبب الأساس وراء الخوف من الموت هو عدم إيمان هؤلاء بالحياة بعد الموت أوالتعلّق بالدنيا أكثر من اللّازم أو كثرة المعاصي.
- إنّ صـلاة الجمعة - قبل كلّ شيء - عبادة جماعيّـة ولها أثر العبادات عموماً، حيث تُطهّر الروح والقلب من الذنوب. أمّا من الناحية السياسيّة والاجتماعيّة فهي أكبر مؤتمر أسبوعيّ عظيم بعد مؤتمر الحجّ السنويّ.

للمطالعة

القرآن والاكتشافات العلميّة المعاصرة

لا شكّ أنَّ القرآن ليس كتاباً من كتب العلوم الطبيعيّة أو الطبيّة أو النفسيّة أو الرياضيّة.

القرآن كتاب يهدي الإنسان ويصنعه، فهو لا يترك شيئاً ضروريّاً في هذا السبيل إلّا وأتى به.

لذلك ليس لنا بالطّبع أنْ نرى في القرآن دائرة معارف عامّة، بل لنا أن نجد فيه نور الإيمان والهداية والتقوى والإنسانيّة والأخلاق والنظام والقانون، فهو يضمّ كلّ هذه الأُمور.

غير أنّ القرآن، للوصول إلى هذه الأهداف، يُشير أحياناً إلى جانب من العلوم الطبيعيّة وأسرار الخلق وعجائب عالم الوجود وخاصّةً خلال ذكر التوحيد والاستدلال بنظام الكون، فيرفع الستار عن بعض أسرار عالم الخلق ويكشف أُموراً لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً يومذاك وفي ذلك المحيط، حتّى العلماء منهم.

هذه البيانات تجتمع تحت عنوان "معجزات القرآن العلميّة". نُشير إلى بعضٍ منها في ما يلي:

القرآن وقانون الجاذبيّة

لم يكن أحد قبل نيوتن يعرف شيئاً عن قانون الجاذبيّة العامّ. من المعروف أنَّ نيوتن هذا كان يوماً جالساً تحت شجرة تفّاح، فسقطت تفّاحة من الشجرة على الأرض، فاستولى هذا الحدث الصغير على كلّ تفكيره وأمضى سنوات يُفكّر في القوّة الّتي جذبت التفاحة إليها. لماذا لم ترتفع إلى السماء؟ وبعد سنوات توصّل إلى وضع قانون الجاذبيّة الأرضيّة الّذي يقول: "تتجاذب الكتلتان بنسبة طرديّة مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسيّاً مع مربّع المسافة بين مركزي ثقليهما".

على أثر صياغة هذا القانون اتّضح وضع المنظومة الشمسيّة.

لماذا تدور هذه الكواكب العظيمة كلّ في مدار حول الشمس؟ لماذا لا تهرب من هذا المدار وتنطلق في كل اتّجاه؟

لماذا لا تتراكم بعضها فوق بعض؟ ما هذه القوّة الّتي تُمسك هذه الأجرام في مدارات دقيقة في هذا الفضاء الشاسع، دون أنْ تتجاوزها حتّى بمقدار رأس الإبرة؟ اكتشف نيوتن أنَّ حركة الجسم الدائريّة تجعله يبتعد عن المركز، وقانون الجاذبيّة يجذبه إلى المركز، فإذا ما تعادلت هاتان القوّتان، القوّة الطاردة عن المركز، والقوّة الجاذبة نحو المركز، أي إذا أوجدت "الكتلة" و"المسافة" من القوّة

"الجاذبة إلى الداخل" والقوّة "الطاردة إلى الخارج" مقادير متعادلة، بقي الجسم يدور في مداره ولا يتعدّاه.

غير أنَّ القرآن قبل أكثر من ألف سنة من اكتشاف هذه القوانين قال في الآية الثّانية من سورة الرّعد: **﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾**.

وقد جاء في تفسير هذه الآية عن الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام قوله:
"أليس اللّه يقول بغير عمد ترونها؟ قلت: بلى. قال: ثَمّ عمد لكن لا ترونها"[1].

أهناك تعبير أوضح وأبسط في الأدب العربيّ من هذا القول عن قوّة الجاذبيّة: أعمدة غير مرئية، ليفهمه عامّة الناس؟

وفي حديث عن الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام نقرأ: "هذه النجوم الّتي فى السّماء مدائن مثل المدائن الّتي في الأرض مربوطة كلّ مدينة إلى عمود من نور".

أليست هذه الإخبارات معجزة علميّة؟ خاصّة أنَّ الذي جاء به إنسان أُمّي لم يدخل مدرسة، بل إنَّه نشأ في محيط متخلِّف لا مدرسة فيه ولا تعليم. أفلا يكون هذا دليلاً على كون القرآن كتاباً سماوّياً؟

---

(١) مفاهيم القرآن، السبحاني، ج١٠، ص٢٣.